الملتقى العلمي الرابع لطلبة الدراسات العليا
بكلية الآداب والعلوم الإنسانية
باحثون ٤

الجزء الاول

٣ – ٤ / ٨ / ١٤٤٣هـ
٦ – ٧ / ٣ / ٢٠٢٢م

مركز النشر العلمي
جامعة الملك عبدالعزيز
http://spc.kau.edu.sa

الوضع السياسي لمنطقة عسفان في العصر الإسلامي وحتى العصر العباسي دراسة تاريخية وأثارية

الباحث: عبد العزيز عبد الرحيم سعيد الصحفي
قسم: التاريخ والاثار

المستخلص:

تأثرت كثيراً منطقة عسفان بالوضع السياسي قبل الإسلام وبعده، حيث كان لموقعها الذي يكاد يتوسط طرق التجارة بين الشمال والجنوب دوراً كبيراً في استقرار المنطقة وازدهارها، كطريق آمن تمر به القوافل التجارية القادمة من الشام إلى اليمن، ومن اليمن إلى الشام في رحلات الشتاء والصيف الخاصة بقبيلة قريش. بخلاف القوافل التجارية الأخرى والتي كان يقوم أهالي عسفان وما جاورها بأعمال الخفارة والنقل لهذه البضائع.

بعد ظهور الإسلام ظلت الأمور كما هي وأضيفت على قوافل التجار قوافل الحجاج من غرب الدولة الإسلامية، وقد شارك أهالي عسفان في الحياة السياسية من خلال اشتراكهم في حروب الردة والفتوحات الإسلامية، كما كان لاختيار منطقة عسفان لإنشاء سجن بها لعقاب الخارجين عن الدولة سواء من الناحية الجنائية أو السياسية دوراً في حفظ مكانة عسفان طوال فترة صدر الإسلام والخلافة الراشدة وحتى سقوط الدولة الأموية.

بعد قيام الدولة العباسية تم نقل عاصمة الدولة إلى بغداد وتحول الإهتمام بالموانئ من البحر الأحمر إلى موانئ الخليج وهو ما أثر كثيراً على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية بمنطقة عسفان.

مقدمة:

لعب موقع عسفان وتوابعها والممتد على طرق الحج دوراً كبيراً في إبراز أهمية هذه المنطقة طوال فترة صدر الإسلام وحتى القرن السادس الهجري، وذلك كونها تتمتع بمكانة كبيرة وموقعا استراتيجيا وتاريخيا مهما يصل الحج من خلاله إلى الحرمين الشريفين، وهي من المناطق المهمة في التاريخ الإسلامي؛ وقد شهدت عصورا مختلفة من بداية صدر الإسلام مرورا بالدولة الأموية، وحتى بداية ظهور

الدولة المملوكية، وسيطرتها على منطقة الحجاز. ونظراً لقلة المصادر والمراجع التي تتناول منطقة الدراسة تاريخياً وأثرياً ، لم تبح المنطقة بالكثير من أسرارها وأثارها ، وهو ما يستوجب إجراء المزيد من البحث والدراسة عنها ، لقد ظلت المنطقة (عسفان وتوابعها) مسرحاً للعديد من الأمور السياسية والاقتصادية بل والعسكرية أيضاً، خلال فترة ما قبل الإسلام وبعدها مروراً بالعهد النبوي ، وعهد الخلفاء الراشدين والعصر الأموي ، وهي الفترة التي كانت تتمتع فيها المنطقة بالنشاط التجاري والسياسي الحيوي ، ثم آلت المنطقة إلى النسيان لفترات طويلة خاصة بعد تحويل طرق التجارة من موانئ البحر الأحمر إلى موانئ الخليج العربي لقربها من عاصمة الخلافة الجديدة (بغداد) في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور ، كما واجهت المنطقة أيضاً رفع يد الدولة عنها مما أظهر فترات طويلة من عدم الاستقرار وقلة الأمن والأمان بسبب هذا التجاهل كما سيأتي.

في هذا العمل سوف أتناول الوضع السياسي للدولة الإسلامية منذ صدر الإسلام وحتى نهاية الدولة العباسية وأثره على منطقة عسفان وتوابعها.

وصف ابن بطوطة منطقة عسفان بقوله: " هي بسيط من الأرض بين جبال، وبها آبار ماء معين تنسب احداهما الى عثمان بن عفان، وهناك بئر تنسب الى عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنهما، ويقال: إنه أحدثها. وبها حصن عتيق وبرج مشيّد قد أوهنه الخراب، وبه من شجر المقل كثير"[1]، وذكرها الرحالة التركي أوليا جلبي بقوله: "وهي من الآبار النبوية المأثورة، وتكثر الآبار في هذه المنطقة"[2]. وذكرها الحميري بقوله: "بلد كبير بين مكة والمدينة، بينها وبين مكة تسعة وأربعون ميلا، وبينها وبين البحر عشرة أميال، وفيها آبار عذبة، وبين عسفان وقديد أربعة

(١) ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم أبو عبدالله ، تحفة النظار في غرائب الأمصار ، المعروف برحلة ابن بطوطة، ط١ ، بيروت ، دار احياء العلوم ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ج١ ، ص٥٨.
(٢) أوليا جلبي،درويش محمد أغا. انظر الموسوعة العربية، ط١، ١٩٦٥، ط دار الشعب القاهرة حرف (الألف) كتاب الرحلات .ويقصد بالآبار النبوية تلك الأبار التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعذب مائها .

وعشرون ميلا، وعسفان كثيرة الأهل خصيبة، ماؤها من الآبار"[1]، بينما يذكر الجزيري: "وعسفان قرية على الطريق الى مكة.. سميت بهذا لعسف السيول فيها.. وبئر عسفان بها ماء عذب سائغ شرابه، يقال: إن النبي ﷺ شرب منه، وأن قوافل الحجاج عادة ما ينزلونها ويتزودون منها بكل احتياجاتهم" [2].. كما يقول عنها محمد صادق باشا: "محطة عسفان أو بئر التفلة وهو محل متسع محاط بجبال به عشش وسوق يباع فيها اللحم والسمن والبلح والنارنج المسمى عندهم بالليم وهناك ثلاث آبار عذبة المياه لا سيما بئر التفلة فإن ماءها كماء النيل ويقال إن ماءها كان مُرّاً فتفل فيه الرسول ﷺ عند مروره هناك فحلا أي زالت ملوحته إلى وقتنا هذا [3]."وهو أمر لم يثبت ولم يصح عنه صلى الله عليه وسلم، وروايات لا تثبت أمام البحث العلمي الدقيق.

أهمية الدراسة: تتمثل أهمية الدراسة في كونها توضح أهمية هذه المنطقة تاريخياً وسياسياً واقتصادياً ودينياً في التاريخ الإسلامي، خاصة في صدر الإسلام وصولاً إلى نهاية العصر العباسي، مروراً بالعصر الأموي.

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

١- بيان الدور السياسي لمنطقة عسفان من صدر الإسلام الى الدولة العباسية.

٢- إبراز الأوضاع السياسية لمنطقة عسفان من صدر الإسلام حتى نهاية الدولة العباسية.

حدود الدراسة: الحدود الزمانية: من بداية صدر الإسلام حتى نهاية العهد العباسي.

---

(٣) الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (المتوفى: ٩٠٠هـ) ، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس ـ، ط٢، بيروت ـ مؤسسة ناصر للثقافة ، ١٩٨٠ م حرف (العين) ص ١٢١.

(٤) الجزيري، عبد القادر بن محمد الأنصاري الجزيري الحنبلي، توفي سنة ٩٧٧هـ، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م ، ج٢ ، ص ٥٥.

(٥) محمد صادق باشا ، الرحلات الحجازية ، ط١ ، بدر للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٩، ص ٣٣ وما بعدها. انظر الرحلات الحجازية ص ٢١.

الحدود المكانية: (منطقة عسفان وتوابعها من المناطق التي الحقت بها خلال مدة الدراسة).

أسباب اختيار الموضوع: إن ما دفع الباحث لإعداد هذه الدراسة عن منطقة البحث، هو توضيح مدى تأثير الوضع السياسي على الأوضاع بعسفان.

منهج الدراسة هو المنهج الاستقرائي: القائم على استخراج المادة العلمية من المصادر التاريخية وكتب التراجم والطبقات والمراجع وغير ذلك، والدوريات المرتبطة بموضوع الدراسة، ومن ثم استخدام المنهج الوصفي التحليلي للوصول الى النتائج التي تهدف إليها الدراسة.

مصادر الدراسة : من أهم المؤلفات التي اعتمدت عليها في فترة الدراسة : من أهم المؤلفات التي اعتمدت عليها في فترة الدراسة، اعتمدت على كتاب جمهرة النسب لمؤلفة هشام بن محمد بن سائب الكلبي أبو المنذر، المتوفي سنة ٢٠٤هـ والكتاب يتناول أنساب وأخبار العرب وأيامها، ووقائعها ومثالبها ، وكتاب أنساب الأشراف ، لمؤلفه أحمد بن يحيى البلاذري ، المتوفي سنة ٢٧٩هـ ، وهو من أفضل ما كتب في هذا الموضوع ، وكتب البلدان، ومنها صفة جزيرة العرب لمؤلفه الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني المتوفي سنة٣٦٠هـ ، وكتاب معجم البلدان لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي المتوفي سنة ٦٢٦هـ ، وهو موسوعة كبيرة في الجغرافية وطرق المواصلات والأماكن التي قام المؤلف بزيارتها أو تناولها في هذا الكتاب، وغيرها من كتب الرحلات ، كرحلة محمد بن جبير المتوفي سنة٦١٤هـ ، والمعروفة برحلة بن جبير، وكذلك الرحلة التي قام بها محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة المتوفي سنة ٧٧٩هـ والذي زار منطقة الدارسة وذكر ما راه فيها خلال فترة زيارته، وقد أفادت هذه المصادر بما تضمنته من معلومات في تحديد المواقع الجغرافية. كما اعتمدت على كتب السيرة لأبي محمد بن عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري البصري المتوفي سنة ٢١٨هـ، وكذلك كتاب الطبقات

لمحمد بن سعد بن منيع البصري المشهور بابن سعد المتوفي سنة٢٢٢هـ، وغيرها من المصادر والمراجع والمواقع والمقالات العلمية، التي تناولت منطقة الدراسة بطريقة أو بأخرى. أما بالنسبة للدراسات الحديثة التي تناولت منطقة الدراسة فلم أقع عليها، وما وجدته هو دراسة واحدة تتناول منطقة الدراسة من الناحية الجغرافية كما سيأتي.

الصعوبات التي واجهت الباحث: من أهم الصعوبات التي واجهت الباحث هي قلة المصادر التي تناولت منطقة الدراسة وشح المعلومات عنها، والتي لا تتعدى في بعضها سطور قليلة في بطون هذه المصادر، هذا بالإضافة إلى ندرة الدراسات الحديثة التي تناولت المنطقة تاريخياً خلال فترة البحث من صدر الإسلام وحتى نهاية العصر العباسي.

خطة الدراسة: اقتضت طبيعة هذا الموضوع أن يدرس في تمهيد وفصل واحد مقسم إلى ثلاثة مباحث وخاتمة.

التمهيد: ويشتمل على أهمية الطريق التجاري بين مكة والمدينة قبل الإسلام.

وقد قسمت الدراسة على النحول التالي: الوضع السياسي لمنطقة عسفان في صدر الإسلام وحتى العصر العباسي

المبحث الأول: الوضع السياسي لمنطقة عسفان في صدر الإسلام.

المبحث الثاني: الوضع السياسي لمنطقة عسفان في العصر الأموي.

المبحث الثالث: الوضع السياسي لمنطقة عسفان في العصر العباسي.

خاتمة البحث: وتحوي أهم النتائج والتوصيات التي توصل لها البحث.

الملاحق.

قائمة المصادر والمراجع التي تناولت موضوع البحث.

الدراسات السابقة: لم تحظى منطقة عسفان وتوابعها بدراسة (تاريخية) حديثه وما كتب عنها جاء مختصر رغم موقعها المهم وما تحويه من اثار اسلامية شهدت احداث تاريخية خلال العهد النبوي والعصور التالية له، وارجو من الله سبحانه وتعالى

ان تكون هذه الدراسة التي بين أيدينا هي باكورة لدراسات قادمه تسلط الضوء على عسفان وتوضح أهميتها التاريخية والاقتصادية. وعند بحثي عن دراسة سابقة تتناول منطقة عسفان بالدراسة عثرت على دراسة بعنوان:

١-**(حوض وادي عسفان دراسة في الخصائص الطبيعية والإرسالات السطحية)**، وهي دراسة جغرافية أعدتها الطالبة/ ألفت بنت حسين محمد الأمير للحصول على درجة الماجستير من قسم الجغرافيا، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الجغرافيا، جامعة أم القرى في العام الدراسي ١٤٢٤هـ /٢٠٠٤م، ولما كانت علاقة علمي الجغرافيا بالتاريخ لا تنقطع ويكمل أحدهم الأخر، فقد أوردت هذه الدراسة الخصائص البيئية و الظروف المناخية للمنطقة والظروف التي جعلتها سكن ومأوى للكثير من الأقوام على مر العصور، ومن هذه الخصائص أن المنطقة بها أودية رئيسة مكونة لحوض وادي عسفان، مثل وادي فيدة ووادي سوقة ووادي اللصب، بالإضافة إلى مياه بها ونشاط للرياح، وهو ما يجعلها صالحة للسكن والإقامة، ومنطقة جذب للسكان منذ قديم الزمان .

٢- **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية:** لمؤلفه عاتق بن غيث صالح البلادي الحربي (ت: ١٤٣١هـ). حيث ذكر عسفان في كتابه معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، وتناول موقع الدراسة ببعض التفسير.

٣- **كتاب: معجم قبائل المملكة العربية السعودية:** لأحمد بن محمد الجاسر (ت: ١٤٢١هـ) المحقق: الناشر: النادي الأدبي في الرياض، الرياض – المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م عدد الأجزاء: ١، ورد ذكر عسفان من حيث القبائل وتفرعها.

التمهيد:

أهمية الطريق التجاري بين مكة والمدينة قبل الإسلام: تعد التجارة أحد أهم المهن التي امتهنها الإنسان القديم ، ولكي تزدهر هذه المهنة لابد لها من أسواق

تعرض فيها البضائع ، وقوافل تحملها من مكان لأخر ، ومن المعروف أن الله تعالى قد خص كل اقليم أو بلد ، بما يوجد به خاصة ، ويحتاج إليه إقليم أخر ، ومن هنا فقد نشأت التجارة ، فنجد كل منطقة تتمتع بنوع من الخيرات التي لا تجدها في غيرها فيسافر الناس إليها، يأخذون من أمتعتها وبضائعها – بأثمانها– هذه البضائع فيبيعونها في بلدان وأقاليم لا توجد بها فيستفيد الناس هنا وهناك، وتنمو المدن والطرق التجارية، وتزدهر الشعوب وتبنى الحضارات ٠ وقد تمتعت المنطقة الواقعة بجنوب شبه الجزيرة العربية وبخاصة الواقعة بالقرب من سواحل البحر الأحمر ، بموقع هام ، ومهيمن على طرق القوافل التجارية خاصة في الفترة التي ظهرت بها ممالك هامة في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية وشمالها وشرقها وغربها، حيث تحولت المنطقة إلى منطقة هامة كونها تهيمن على طرق التجارة بين أطراف الجزيرة العربية والعالم الخارجي، خاصة عندما دخل اليونان ومن بعدهم الرومان في نهاية القرن الخامس الميلادي في البحر الأحمر وسيطروا على الطريق البحري بعد أن كان العرب هم اسياد البحر الأحمر لمدة تزيد على قرنين من الزمان ، ومن المعروف أن التجارة البحرية أقل تكلفة في النقل من القوافل البرية ، ولكن عندما خرج البحر الأحمر من سيطرة العرب ازدهرت التجارة البرية في الجزيرة العربية خاصة في القرن السادس الميلادي[1]، حيث تمر قوافل الجمال محملة بسلع وبضائع الجنوب من البخور والمر والعطور وغيرها إلى الشام بشمال الجزيرة العربية، وتمر أخرى بشرق الجزيرة العربية إلى الخليج العربي والعراق، ومنها إلى الهند وشرق أسيا، والصين وتعود محملة ببضائع تلك البقاع[2] ،وكانت قوافل الإبل التجارية والتي كثرت بعد تهجين الجمل واستخدامه في أعمال التحميل ، ونقل البضائع ، دوراً كبيراً في ازدهار هذا الطريق

(١) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت:٣٤٤هـ): الإكليل، تحقيق محمد بن علياالأكوع، ط١، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ، ١٤٢٥هـ /٢٠٠٤م، ج٨، ص ١٢٠. ؛ شعيب، مروان بن غازي صالح:"موانئ شرقي البحر الاحمر قبل الإسلام: دراسة تاريخية وحضارية"، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض ، ٢٠٢١م ، ص١٠.

(٢) النعيم ، نورة عبد الله العلي ، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي ، ط١، دار الشواف ، الرياض ١٤١٢هـ /١٩٩٢م ، ص٢٠٦-٢٠٧.

، وهو ما أدى إلى ظهور مدن كثيرة على طول طرق القوافل وبخاصة في المناطق السهلية التي تكثر بها المياه والطعام وسبل الراحة، ومع الوقت أصبحت هذه المناطق تستفيد من مرور هذه القوافل، فتقوم على توفير ما تحتاجه من مياه وطعام ، وعلف لحيواناتها، بل وحراسة وخفر لهذه القوافل لتصل إلى وجهتها سالمة [1]. ولعل في قصة الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري رضي الله عنه [2] ما يدلنا على أهمية هذه الطرق، وأهمية نقاط الاستراحة القائمة على طول طريق القوافل التجارية في ذلك العصر ، فعندما أعلن إسلامه قامت قريش بالتعدي عليه بالضرب حتى كاد أن يموت بين أيديهم ولم ينقذه من ذلك سوى تدخل أحد عقلائهم، الذي بيَّن لهم خطورة فعلهم وأن ما يفعلونه قد يعرض تجارتهم للخطر حيث أنها تمر بطريق قبيلته (قبيلة غفار) ولما كانت التجارة هي عماد الحياة في غرب الجزيرة العربية، خاصة في ظل ما تتمتع به هذه المنطقة من موقع جغرافي مميز بين أعظم الدول وأقدم الحضارات.[3] في ذلك العصر . فقد كانت تقع في وسط أهم الطرق التجارية وكانت التجارة في جزيرة العرب تمر عبر طريقين:

الطريق الأول: شرقاً يصل عمان بالعراق وينقل بضائع اليمن والهند وفارس ثم ينتقل غرب العراق إلى أن ينتهي به المطاف في أسواق الشام.

والطريق الثاني: وهو الأهم غربي يصل اليمن بالشام مجتازاً بلاد اليمن والحجاز ناقلاً أيضاً بضائع اليمن والحبشة والهند إلى الشام وبضائع الشام إلى اليمن كذلك[٤]

(٣) النعيم ، نورة عبد الله العلي ، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية ،ص٢٠٧-٢٠٩.
(٤) هو جُنْدُبُ بنُ جُنَادَةَ بنِ سُفْيَانَ بنِ عُبَيْدِ بنِ حَرَامِ بنِ غِفَارَ من السابقين إلى الإسلام ، وكان رأسا في الزهد، والصدق، والعلم، والعمل، قوالا بالحق. توفي سنة ٣٢هـ، انظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، (ت ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ، ج٢، ص ٤٦-٤٧، ٥٢.
(٣) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ) ، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ج٣ ، ص ٣٤. ، وغفار هم بطن من قضاعة، قال أبوعبيد وهم الغفاريون ومن بطون مهرة السماعنة، ومن بطون مهرة السلمان بطن، ومنازلهم مع قومهم مهرة بقباء؛ المغيري ، عبد الرحمن بن حمد بن زيد ، المنتخب في ذكر أنساب وقبائل العرب ، تحقيق ، إبراهيم بن محمد الزيد ، د، ن، ط ، د ، ن. ص ٢٧.
(٤) الأفغاني، سعيد، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ط٣، دار الفكر، بيروت ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ص١٥-١٦. انظر شكل رقم (١) خريطة للأسواق العربية في ذلك العصر بالملاحق.

ولهذا اكتسبت المدن الواقعة على طريق جنوب الجزيرة العربية ميزة مهمة، لحاجة القوافل التجارية للراحة والعلف لحيواناتها والخفر لبضائعها، لذا فقد كان من الطبيعي أن تتواجد أسواق يتم فيها بيع هذه البضائع، وهو بالفعل ما نجده واضحاً حيث تسابق على أسواق جنوب غرب الجزيرة العربية معظم التجار من كل بقاع الجزيرة العربية [١]. على مدار السنة ومن أشهر هذه الأسواق:

١- **سوق الشحر**:يطلق اسم الشحر على الساحل الجنوبي لجزيرة العرب بين عدن وعمان، والشحر مأخوذ من مشحر الأرض. [٢]

٢- **سوق (عدن)**: أهم تجارات هذه السوق الطيب بأنواعه، ويجلب إليها الأدم، وكانت تقام في أول شهر رمضان من كل عام. [٣]

٣- **سوق (صنعاء)** وتقوم في النصف من شهر رمضان [٤]

٤- **سوق (الرابية)** وكانت تقام في النصف من ذي القعدة وحتى آخره، هي وسوق عكاظ في يوم واحد.

٥- **سوق الجند**: لها ماضٍ قديم جدا. وهي من أسواق العرب القديمة. [٥]

٦- **سوق عكاظ**: هي السوق التجارية الكبرى لعامة أهل الجزيرة، يحمل إليها من كل بلد تجارته وصناعته كما يحمل إليها أدبه، فإليها يجلب الخمر من هجر والعراق وغزة وبصرى، والسمن من البوادي، ويرد إليها من اليمن البرود الموشّاة والأدم، وفيها الغالية وأنواع الطيب وأدوات السلاح. [٦].

٧- **سوق دومة الجندل**: بلد يقع في نقطة متوسطة بين الشام والخليج الفارسي والمدينة، على منتصف الخط الواصل بين العقبة والبصرة تقريبا. [٧].

---

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢١٣.؛ الأفغاني، سعيد، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ص٥٢٣-٥٢٥.؛ السويدي، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، ص١١٩، ١٢٠.

(٣) الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت: ٦٢٦هـ) معجم البلدان، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، مادة أبين.؛الأفغاني، أسواق العرب، ص٢٦٨ ؛ السويدي، سبائك الذهب، ص١١٩، ١٢٠.

(٤) الإكليل ج١٠ص٥٧؛ الإفغاني ص٢٧٠.

(٥) الإكليل ج٨ ص ١٢ الإفغاني ص٢٧١.

(٦) الأفغاني ص ٢٧٨..

(٧) المرجع السابق ص ٢٣٢.

٨- **سوق يثرب ومكة وذو المجنة:** كان أعظم ما يحدو العرب في الجاهلية على قصد تلك الأسواق قيام كثير منها في الأشهر الحرم، ولشيوع الأمن حرمة للشهر، ولأن مواسم بعض الأسواق كعكاظ ومجنة وذي المجاز تقع في أيام حجهم وهي أعمر أسواق العرب بمختلف القبائل يأتونها من كل أوب ومعهم خيرات بلادهم، وتلك ميزة لا تتمتع بها بلدة غير مكة ولا قوم غير قريش. [١]

وإضافة إلى الأسواق العربية، فقد كان لقريش رحلتان تجاريتان في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام، وهو ما يجعلها في أشد الحاجة لمن يحمي قوافلها من سكان هذه المناطق التي تمر بها، خاصة وأنه لا يمضي عام دون إنفاذ هذه القوافل التجارية. لذا فإن الأسواق العربية في اليمن وغيرها كانت تعد أهم وسائل نقل المعلومات. [٢]

ومما يدل على أهمية طرق التجارة ، ومدى النفع الذي كان يعود على قريش منها، هو اصرار قريش على أن يكون من ضمن شروط صلح الحديبية الذي عقدته مع النبي ﷺ تأمين طرق القوافل التجارية إلى اليمن والطائف والشام، وهو ما يوضح أن تجارتها قد تأثرت كثيراً بسبب الحرب بينها وبين المسلمين[٣] وتذكر كتب السيرة وفاة السيدة آمنة بنت وهب أم النبيﷺ بالأبواء بين مكة والمدينة، فقد قامت بزيارة أخواله ﷺ في المدينة وأثناء عودتها مرضت وتوفيت بالأبواء، وهو ما يدل على أن الطريق كان آمناً، إذ كيف لامرأة وطفل صغير أن يسيروا في طريق كهذه لولا علمهم بالأمن واليسر في الطريق على الرغم من مشقته وبعده.[٤]

من هنا تتضح أهمية هذه المدن الواقعة على طرق التجارة بين الشمال والجنوب، وهي الأهمية التي ظلت قائمة طوال الجاهلية، ثم زادت أهميتها في صدر الإسلام

(٣) ابن الأثير، أبي الحسن الجذري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط١، دار بن حزم، بيروت،٢٠١٢م، ج٢ ص٨٦، ٩٠؛ الشجاع، عبد الرحمن عبد الواحد، اليمن في صدر الإسلام، ص ٨٦ .

(٤) ابن هشام، عبد الملك بن هشام (ت: ٢١٣هـ)، السيرة النبوية لابن هشام تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ط٢،شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م ج١ ، ص ١٦٨ .

حيث أصبحت طرق الحجيج إلى زيارة المسجد النبوي الشريف طوال العصور الإسلامية المختلفة من صدر الإسلام وحتى نهاية الدولة العباسية وهو موضوع هذه الدراسة.

المبحث الأول

الوضع السياسي لمنطقة عسفان في صدر الإسلام

لم تكن منطقة عسفان بمعزل عن الواقع السياسي الذي شهدته قرى ومدن الحجاز. ولكن اتسمت المادة التاريخية بالندرة والشحة ومن ثم خيّم الغموض على العديد من جوانب هذا التاريخ، لاسيما في أبعاده الإدارية والاجتماعية والعمرانية والاقتصادية والعلمية والسياسية أيضًا، ولمّا كانت بوصلة التاريخ تتسلط على مواطن صناعة الحدث ليُعنى به رصدا وتدوينا، فمن الطبيعي أن تكون منطقة عسفان وما جاورها من تلك المناطق التي اعتني بها بعد أن فتحت مكة على يد النبي – ﷺ – في العام الثامن من الهجرة، إذ لم تعد بذات الكيان السياسي الذي نهض بها لتكون المنافس الأقوى في جزيرة العرب لقيام دولة الإسلام في المدينة المنورة، حيث غدت ولاية تابعة لها كغيرها من البلدان والأقاليم سواء داخل الجزيرة العربية أو خارجها ومن ثم لم يعد يُؤبه لمكة في الغالب إلا بقدر صلتها بالمدينة والتي مثلت محور الوقائع والأحداث، وهذا ما أكدته المادة المصدرية[1]. ورغم ذلك كله فإن البحث العلمي يتطلب مزيداً من العمل للكشف عن أبعاد تاريخ تلك المنطقة في الفترة الممتدة منذ صدر الإسلام حتى مطلع العصر الأموي، خاصة بعد الوقوف على بعض الشذرات المنثورة في المصادر التاريخية التي يمكن أن تضاء بها الجوانب المظلمة من هذا التاريخ، هذا فضلا عن أنه لم يعثر الباحث على دراسة مستقلة تناولت هذه

---

(١) نور، أحمد ياسر: ولاية مكة في عصر النبوة وزمن الخلفاء الراشدين (٨-٤٠هـ/ ٦٢٩ - ٦٦١م)، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٤٢، العدد ٣، ٢٠١٥م.

الفترة المهمة من تاريخ منطقة عسفان إلى جانب ندرة المصادر والمراجع المتعلقة بموضوع الدراسة.

نظام الحكم والإدارة: اقتضى الحال بمنطقة عسفان أن تقبع في إدارتها ونظام الحكم فيها بما يجري على مكة المكرمة، ومناطق الحجاز لمجاورتها إياها، ومن المؤكد أن وظيفة عامل أو والي تلك المناطق تأتي على أرس هذا التنظيم الإداري، ومن ثم سنحاول في ضوء المادة المصدرية التعرف على ولاة تلك المناطق وأحوالهم وما اضطلعوا به من مهام إدارية في فترة البحث.

الولاة:

١- عصر النبي صلى الله عليه وسلم: خضعت منطقة عسفان كباقي المناطق الحجازية تحت حكم عدد من الولاة ولاهم النبي – صلى الله عليه وسلم- ابتداء من عصره، حيث إن أول من استخلفه الرسول – ﷺ- عليها هو هبيرة بن سِبْلِ بن العجلان- رضي الله عنه –، وهو رجل من ثقيف كان إسلامه بالحديبية، وجاءت توليته عليها لمّا خرج رسول الله (ﷺ) إلى الطائف عام الفتح[١]. ثم وّلّى النبي(ﷺ) من بعد هبيرة تولى عتّاب بن أسيد أبي العيص القرشي الأموي – رضي الله عنه – وكان ذلك لمّا رجع من الطائف وأراد الخروج إلى المدينة[٢]. وذكرت بعض المصادر جانبا من صفاته وطبيعة إدارته لمكة، فوسم بأنه كان " رجلا خيار صالحا فاضلا، وكان من صفاته أيضا الزهد والإعراض عن استغلال عمله في تحقيق أي مكاسب ذاتية، فأثر عنه قوله" ما أصبت مما ولاني رسول الله إلا ثوبين معقدين كسوتهما

(١) هبيرة بن سبل بن العجلان، رجل من ثقيف أسلم عام الحديبية أول من ولاه النبي صلى الله عليه وسلم على مكة بعد الفتح، ابن الأثير، علي بن محمد الجزري ، اسد الغابة في معرفة الصحابة ، ط١، دار ابن حزم، بيروت (٢٠١٢)،ج:١ص: ١٢١٧ ؛ابن سعد: محمد بن سعد الزهري (ت230هـ)، الطبقات الكبرى، ت: محمد عبد القادر عطا، 1410هـ-1990م، بيروت، ط1، دار الكتب العلمية، 110/2؛ ابن عبد البر، يوسف بن عبدالله(ت463هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ت: علي البجاوي، 1412هـ، بيروت، دار الجيل، 4/ 1548؛ الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ)، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ، 167/2.

(٢) أسلم يوم الفتح ولاه النبي صلى الله عليه وسلم على مكة ومات وهو واليها وأقره أبو بكر عليها وتوفي يوم وفاة أبي بكر الصديق ابن الأثير،أسد الغابة في معرفة الصحابة،مؤسسة الرسالة،ط١/ ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، ٤٠٢/٥.

مولاي كيسان "[١]. وصفه أنس – رضي الله عنه– بأنه " كان شديدا على المريب، ليّنا على المؤمنين"[٢]. وعلى كل الأحوال لم يزل عتّاب أميرا على تلك المناطق حتى قبض رسول الله ﷺ . وهو ما يوضح اهتمام النبي ﷺ بعسفان لعظم موقعها على طريق القوافل التجارية وطرق الحج بعد ذلك، وهي في الأساس كانت محطة للقوافل وسوق تجاري قبل الإسلام، غير أن المصادر لم تعرها اهتماماً بسبب الأحداث السياسية في المدينة المنورة والتي طغت على باقي الأماكن، وأنهمك المؤرخون بتدوين أحداث المدينة وانشغلوا بها عن باقي المناطق.

٤- عصر الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

وفي هذا العصر ظل عتاب بن أسيد واليا على تلك المناطق بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم. وذكر ابن عبد البر [٣] أن أبا بكر – رضي الله عنه– ولى عليها الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب.

وانتقد ابن الأثير بقوله:" وهم منه إنما كان الأمير بمكة في خلافة أبي بكر عتّاب بن أسيد على القول الصحيح.." [٤]. وتوفى عتّاب يوم مات أبو بكر الصديق رضي الله عنه [٥]، وهناك من المؤرخين من ذكر خلاف ذلك [٦].

٣- عصر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وقد ولى الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– في عصره الصحابي المحرز بن حارثة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف[٧] رضي الله عنه. وذكر المؤرخون أن المحرز بن حارثة بدأ يدير شئون البلاد لما استخلفه عتّاب بن أسيد نيابة عنه عليها في سفرة سافرها،

---

(٣)ابن حجر،أحمد بن حجر العسقلاني(ت582هـ)،الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، 356/4؛ وابن الأثير، المبارك، أسد الغابة 576/3.

(٤) المصد السابق، 4/ 357.

(٥) ابن عبد البر: الاستيعاب 291/1.

(١) ابن الأثير، المبارك، أسد الغابة ٥١٣/١.

(٢)ابن عبد البر: الاستيعاب، 3/ 1024.

(٣) الفاسي، أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد (ت832هـ)، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمد حامد الفقي، 1406هـ 1986هـ، بيروت، ط2، مؤسسة الرسالة، ١٦١/١.

(٤) محرز بن حارثة بن ربيعة بن عبد العزى العبشمي، ولد بالكوفة؛ ابن حجر، الإصابة ٩٢٠/٢.

وهذا يدل على أنه أهل لإدارتها ولعل هذا الذي دفع عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– توليته بعد ابن أسيد غير أنه عزل زمن خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. أما عن وفاته فقتل المحرز بن حارثة يوم الجمل أي بعد حكم عمر بن الخطاب [١]. وقد وّلّى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– قنفذ بن عمير بن جدعان التيمي[٢] – رضي الله عنه– بعد أن عزل المحرز بن حارثة[٣]، ولم تذكر المصادر تفسيرا لهذا العزل أو سببا له ثم عزله عمر ولم نعثر على سبب لهذا العزل واستعمل بدلا منه نافع بن عبد الحارث[٤] بن حبالة بن عمير الخزاعي – رضي الله عنه–، وهو من كبار الصحابة وفضلائهم ولكن لم يلبث أن عزله عمر– رضي الله عنه– أيضا، وتشير بعض الروايات إلى أن عزله جاء لمّا خرج لملاقاة عمر عند عسفان[٥]، كما استخلف أيضًا مولاه عبد الرحمن بن أبزى فقال له عمر:" استخلفت على آل الله مولاك فعزله" ولكننا نستبعد صحة هذا الخبر، لأن رواية مسلم تشْعِر أن عمر أقر ابن الحارث على أريه في ابن أبزى، حيث لما سأله " من استعملت على أهل الوادي؟. فقال: ابن أبزى. قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا. قال: فاستخلفت عليهم مولى؟. قال: إنه قارئ لكتاب الله – عز وجل – وإنه عالم بالفرائض. قال عمر: أما إن نبيكم – صلى الله عليه وسلم– قد قال:" إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين". أما من تولى تلك المناطق بعد نافع بن عبد الحارث في خلافة عمر بن الخطاب، فمحل خلاف بين المؤرخين، فنقل ابن حجر [٦] عن الطبري أن عمر وّلّى طارق بن المرتفع على مكة بعد عزله لنافع بن عبد الحارث. كما أشار

(٥) ابن عبد البر: الاستيعاب، 4/ 1461.

(٦) قنفذ بن عمير بن جدعان بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي القرشي، صحابي جليل ولد في قريش في الجزيرة العربية؛ تقي الدين، محمد بن أحمد، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، مؤسسة الرسالة، ١٣٣/٦ .

(٧) ابن عبد البر: الاستيعاب، ١٤٦١/٤.

(٤) نافع بن عبد الحارث بن حبان بن عمرو بن عبشان الخزاعي صحابي من الأمراء، أسلم يوم الفتح وروى عنه أبو سلمة، وحميد، وأبو الطفيل، أقام بمكة ولم يهاجر؛ ابن حجر، الإصابة ٩٢٠/٢.

(٩)البكري، أبي عبيد، عبد الله بن عبد العزيز (ت487هـ)، معجم ما استعجم، تحقيق: مصطفى السقا، 1403هـ- 1983م، بيروت، ط3، عالم الكتب، 942/3، 943؛ والبلادي، عاتق غيث، المعالم الجغرافة الواردة في السيرة النبوية، ط1، دار مكة، 1402ه، ص18.

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب، 1307/3، 1490/4، 1491.

الفاكهي[١] وابن عبد البر[٢] وابن الأثير[٣]، وابن حجر[٤]، والفاسي[٥] إلى أن من ولّاه عمر بعد نافع بن عبد الحارث هو خالد بن العاص المخزومي[٦].

ويرى الباحث أن ما نقله ابن حجر عن الطبري قوله عن طارق بن المرتفع " وّلّاه عمر على مكة لما عزل نافع بن عبد الحارث" ليس نقلا صحيحا، لأنه بالرجوع إلى تاريخه نجده يقول نصا:" وكان عامل عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– في السنة التي قتل فيها وهي سنة ثلاث وعشرين على مكة نافع بن عبد الحارث الخزاعي"[٧]. وهذا يعني أن الطبري لم يقل أن طارق بن المرتفع تولى مكة من بعد نافع بن عبد الحارث بل لم يورد أي ذكر له في تاريخه وقد عزل زمن عمر بن الخطاب وولى عمر غيره.كما أن كثرة عزل الولاة من قبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه تدل على اهتمامه بأحوال الرعية واهتمامه بهذه المنطقة خاصة ، فأولاها جل اهتمامه وحرص على تولية من يراه مناسباً لها وقادر على ضبط أمورها .

٤– عصر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه: وقد أشارت المصادر إلى أن علي بن عدي بن ربيعة بن عبد العزى – رضي الله عنه– هو أول من أمّره على تلك المناطق لما تولى الخلافة عثمان بن عفان – رضي الله عنه– ولكنها لم تفصح عن سبب توليته عثمان له، بل لم تمدنا بمادة ضافية تعرّف به سوى أنه قتل يوم الجمل[٨]. ثم لم يلبث أن عزله عثمان بن عفان – رضي الله عنه–، ونصّب بدلا منه على ولايتها خالد بن العاص المخزومي[٩].

---

(١)الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت نحو250هـ)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، د. ت، دار الأندلس للنشر، بيروت، 179/3.

(٢)ابن عبد البر: الاستيعاب، 431/2.

(٤) ابن الأثير: أسد الغابة 123/2.

(٥) ابن حجر: الإصابة 205/2.

(٦)الفاسي: العقد الثمين 161/1.

(٧)خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزوميّ، قتل أبوه يوم بدر على يد عمر بن الخطاب، أسلم يوم الفتح، وأقام بمكة، توفي في خلافة معاوية بن أبي سفيان، ابن حجر، أحمد، الإصابة 206/2.

(٨) الطبري: التاريخ 587/2.

(١)علي بْن عدي بْن ربيعة بن عبد العزى ولاه عُثْمَان بْن عَفَّان مكة حين ولى الخلافة. قتل يَوْم الجمل، ابن عبدالبر: الاستيعاب، 431/2؛ ابن حجر: الإصابة 205/2

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب 205/2، 431.

٥- عصر الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه: وفي عهد علي بن أبي طالب – رضي الله عنه- عزل خالد بن العاص المخزومي، ونصّب أبا قتادة الأنصاري(١) فارس رسول الله – صلى الله عليه وسلم – واليا على تلك المناطق ثم عزله على بن أبي طالب – رضي الله عنه- عن إمارتها وولاها قثم بن العباس بن عبد المطلب(٢) – رضي الله عنه–، ولم يزل واليا عليها حتى قتل علي رضي الله عنه .

أما ما يتصل بما كان يتقاضاه هؤلاء الولاء من أجر أو رزق، وما أُعد لهم من مخصصات نظير عملهم، فيمكن التعرف على جانب من ذلك في عصر النبوة في قول عتاب بن أسيد:" فقد رزقني رسول الله ﷺ كل يوم درهمين"(٣)، بينما نقل الكلاعي(٤) عنه قوله: " درهما كل يوم". هذا إضافة إلى أنه جُعل لكل وال زوجة، وخادم، ومسكن يؤويه، فعن المستورد بن شداد – رضي الله عنه- قال سمعت النبيﷺ يقول:" من كان لنا عاملا فليكتسب زوجة، فإن لم يكن له خادم فليكتسب خادما، فإن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكنا ".(٥) ونظراً لكون منطقة عسفان وتوابعها كانت تتبع إدارياً إمارة مكة المكرمة في ذلك الوقت ، فقد تبعتها أيضاً في القضاء وبواقي النواحي الإدارية .

القضاء في عصر النبوة وزمن الخلفاء الراشدين:

١- **القضاء في عصر النبوة:** لقد كان القضاء في منطقة عسفان مربوطًا ارتباطًا وثيقًا بمكة المكرمة كونها جزء من تلك المناطق حيث كان للنبي – ﷺ- في حياته ثلة من الصحابة تولوا القضاء على عدد من البلدان منهم: معاذ بن جبل – رضي

---

(٣) أبو قتادة بن ربعي الأنصاري المشهور أن اسمه الحارث، اختلف في شهوده بدار، ولكن لا خلاف أنه شهد أحدا وما بعدها، وكان يقال له فارس رسول الله – صلى الله عليه وسلم- . ابن حجر: الإصابة، 272/7، 274.

(٤)قثم بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، أخو عبد الله بن عباس، أمه أم الفضل، كان يشبه النبي – صلى الله عليه وسلم-، ولا يصحّ سماعه منه، حيث كان أحدث الناس عهدا برسول الله – صلى الله عليه وسلم-، استشهد في فتح سمرقند. ابن عبد البر: الاستيعاب 3/ 1304.

(٥)ابن الأثير: أسد الغابة 576/2.

(٦)الكلاعي، سليمان بن موسى (ت634هـ)، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله، بيروت، ط1، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ، ص٢٥٣.

(٧)حديث صحيح ـ أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم (٢٩٤٥).

الله عنه- الذي ولاه على اليمن أما من تولى قضاء مكة، وما يجاورها كمنطقة عسفان من الصحابة في عصر النبوة فهناك إشارة وردت في سياق حديث يحيى بن أكثم[١] وهو ابن إحدى وعشرين سنة لما تولى قضاء البصرة، فسأله واحد من أهلها: كم سن القاضي؟. فعلم أنه قد استصغره فقال:" أنا أكبر من عتّاب بن أسيد الذي وجه به النبي – صلى الله عليه وسلم – قاضيا على أهل مكة يوم الفتح"[٢]، وهذا يعني أن عتاب جمع عمالة القضاء إلى جانب ولاية مكة. ومن هنا يظهر أن عسفان كانت مرتبطة بقضاء مكة ولم يكن لها قاضي منفرداً.

٢- **القضاء في عصر الخلفاء الراشدين:**لقد كان الخليفة يعيّن قاضيا من قِبله، ويجري له رزقا أو ارتبا، فقد كان شريح بن الحارث (ت١٠٧هـ)[٣] يأخذ أجار على القضاء في زمان عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب[٤]، كما استعمل عمر بن الخطاب زيد بن ثابت[٥] على القضاء وفرض له رزقا[٦]. وعلى الرغم من أن المصادر لم تمدنا بتفاصيل عن القضاء وأحواله بتلك المناطق في هذه الفترة، فمن المؤكد أنه كان هناك من يتولى شئونه بها وربما أوكلت عمالته إلى والي مكة مثلما كان عليه الحال في زمن النبوة كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وربما إلى غيره.

عقوبة الحدود والسجن في عصر النبوة وزمن الخلفاء الراشدين:

إذا كان القاضي هو من يصدر عنه أحكام العقوبات وغيرها فإن تنفيذ هذه الأحكام بحاجة إلى من يقوم على إنفاذها، وأول إشارة إلى هذا العمل ما ذكره الفاكهي

(١) قاضي القضاة يحيى بن أكثم ابن محمد بن قطن المروزي البغدادي، ولد في خلافة المهدي،كان من أئمة الاجتهاد، ولاه المأمون قضاء بغداد، توفي سنة 242هـ. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ)، سير أعلام النبلاء، بيروت، ط9، مؤسسة الرسالة، 1413هـ - 1993م، 5/12، 16.
(٢)الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (ت 463هـ)، تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، 1417هـ، ط1، دار الكتب العلمية، 202/14، الكتاني، محمد عبد الحيّ (ت1382هـ)، التراتيب الإدارية، تحقيق: عبدالله الخالدي، د.ت، بيروت، ط2، دار الأرقم، 224/1.
(٣)شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، كان قاضي الكوفة لستين سنة، قال فيه علي بن أبي طالب هو أقضى العرب .عاش مائة وثمان سنين وتوفي سنة ٧٨ هـ ، وترك القضاء قبل موته بسنة واحدة؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٠١/٤.
(٤)ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٨٨/٦.
(٥) زيد بن ثابت بن الضّحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار بن ثعلبة من المدينة النبوية. توفي زيد بن ثابت سنة ٤٥ هـ في عهد معاوية؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٢١/٢.
(٦)الكتاني: التراتيب الإدارية ٢٢٦/١.

[١]من أن عمر بن الخطاب–رضي الله عنه–استعمل على إقامة الحدود بتلك المناطق بعد حكم القضاء عبيدالله بن أبي مليكة[٢].إلا أننا لم نقف في المصادر على من كان يتولى هذا الأمر حتى نهاية عصر الراشدين.

السجون في عصر الخلفاء الراشدين: ما كان سارياً في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم– من حبس المتهمين في المسجد والبيوت استمر في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه– أيضاً، ولكن عندما جاء عمر بن الخطاب– رضي الله عنه– ابتاع داراً خلف دار الندوة (بمكة المكرمة) من صفوان بن أمية[٣] بأربعة آلاف درهم بمكة واتخذها سجناً دائماً. ويصف أبو غدة هذه الدار بساحة واسعة تحيط بها الحجرات والمرافق، وتتخللها أشعة الشمس والهواء، وتتوفر فيها الأسباب الصحية الأخرى. ونشأت السجون في عهد عمر –رضي الله عنه– رغم أن الإسلام لم يذكر صراحة الحبس كعقاب لجرائم أو مخالفات. فالمسلمين في بداية عهدهم كانوا يحتكمون إلى الشريعة في إنزال العقاب بمرتكبي بعض الجرائم مثل السرقة والزنى وغالباً ما كانت هذه العقوبات تُنفّذ بشكل فوري بعد ثبوت التهمة[٤]. وظهر في تلك الفترة سجن في قصر العذيب في العراق، كان ملحقاً بالقصر الذي يسكنه سعد بن أبي وقاص [٥]. كما اتخذ والي الكوفة المغيرة بن شعبة[٦] سجناً من قصب وحبس فيه معن بن زائدة[٧] حين زوّر خاتماً عليه نقش خاتم بيت المال. وعلى نهج

(٧)الفاكهي، محمد بن إسحاق (ت٢٨٠هـ)، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر، بيروت، ١٤١٤هـ، ٢٢١/٣.

(١)عبيد الله بن عبد بن أبي مليكة التيمي، قرشي من أقارب أبي بكر الصديق، ووالد الفقيه عبد الله بن أبي مليكة، وذهب البعض أن له صحبة. ابن حجر: الإصابة ٣٣٣/٤.

(٢)صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن كعب بن لؤي بن غالب، لم يزل مقيماً بمكة حتى توفي بها في أول خلافة معاوية في سنة ٤١ هجرية؛ ابن حجر، الإصابة ٩٢٠/٢.

(٣)الفاكهي: أخبار مكة، ٣٠١/٣.

(٤)سعد بن مالك بن أُهيب بن عبد مناف بن زُهرة، وأمّه حمنة بنت سفيان بن أميّة، وهو من أخوال النبي صلى الله عليه وسلم، ولد قبل البعثة بتسعة عشر عاماً، وكان أحد الثمانية الذين سبقوا الناس للإسلام؛ ابن المبرد، عبد الله، محض الخلاص في مناقب سعد بن أبي وقاص، ط١، دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٦م، ص٣٨.

(٥) أبو عبد الله هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي (٥٠هـ/٦٠٠م)، ولد في ثقيف بالطائف، ، أسلم عام الخندق عمه عروة بن مسعود؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٥٠/٨.

(٦)معن بن زائدة بن عبد الله بن مطر بن شريك بن عمرو بن قيس بن شراحيل بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان بن بكر بن وائل، قُتِل غيلةً سنة١٥١هـ؛ ابن حجر: الإصابة ٣٣٣/٤.

عمر سار عثمان بن عفان، خاصة بعد اتساع الفتوحات الإسلامية. فأنشأ سجن المدينة وحُبس فيه ضابئ بن الحارث التميمي وكان شاعراً وقاطعاً للطريق وناهباً للأموال وكذلك سِجن القموص في خيبر وحُبس فيه الشاعر عبد الرحمن الجمحي(١) لطول لسانه وهجائه الناس، أما علي بن أبي طالب – رضي الله عنه– فكان أول من بنى مكاناً للسجن وجعله في الكوفة، واتخذه من القصب وسماه "نافعاً" وحبس فيه اللصوص فنقبوه وهربوا فبنى غيره من الطين والحجارة وسماه "مخيّساً". وبعد ذلك بنى سجناً في البصرة، واتخذ له حرّاساً من السبابجة، وهم قوم من السِند استوطنوا البصرة(٢).

مما سبق يتضح أن أول ظهور السجن كان بمكة في خلافة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– وهو الذي يقال له "سجن عارم" وكان موقعه خلف دار الندوة، وظل ذكر هذا السجن قائما إلى زمن الأمويين، حيث سجن فيه عبد الله بن الزبير بأمر من يزيد بن معاوية(٣) وقد خصص عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– دارا لتكون سجنا بمكة، واشتراها واليه عليها نافع بن عبد الحارث بأربعة آلاف درهم من صفوان بن أمية(٤).

التنظيمات العسكرية في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين: إن الناظر إلى تاريخ منطقة عسفان وما جاورها من مناطق الحجاز يجد أنه بعد أن فتحت مكة في العام الثامن من الهجرة، فقدت قريش مكانتها السياسية ومكاسبها العسكرية وأحلافها، حيث غدت ولاية تابعة لدولة الإسلام في المدينة في عصر النبوة، وكذا بعد أن أصبحت عاصمة الخلافة في زمن الراشدين حتى عصر عثمان بن عفان /ثم تحولت تبعيتها السياسية للكوفة بعد أن انتقل إليها آخر الخلفاء الراشدين علي

(١)سعيد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جميل بن عامر بن حِذْيَم ، أبو عبد الله المَدينيُّ الجُمحي، ولي القضاء ببغداد في عسكر المهديّ زمن هارون الرشيد،توفي ببغداد سنة 176ه؛ البغدادي، تاريخ بغداد، ٦٧/٩.

(١)الطبري: تاريخ الأمم والملوك،٣٠٢/٥.

(٢)الفاكهي: أخبار مكة ٣٠١/٣.

(٣)البخاري،محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)،الجامع الصحيح، ت: مصطفى ديب البغا، ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م، بيروت، ط٣، دار ابن كثير، ٨٥٣/٢.

بن أبي طالب – رضي الله عنه– ومن الواضح أنها كانت بعيدة عن مسرح الأحداث في هذه الفترة، ولكن في حالات الضرورة كانت تشكل من أهل تلك المناطق وخاصة مكة كتائب عسكرية لتكون بعوثا يرسلها والي تلك المناطق اطلاقا من مكة في أوقات الحاجة والأزمات إلى الخليفة أو حيث أراد ويؤكد ذلك أن أبا بكر كتب إلى عتاب بن أسيد يأمره أن يجهّز بعثا من تلك المناطق الحجازية لقتال جندب بن سلمى المدلجيّ لمّا أعلن ردته فهزمه[١]. وبأمر من أبي بكر أرسل بعثا من مناطق مكة وأهلها بقيادة أخيه خالد بن أسيد[٢] لقتال المرتدين في اليمن إلى جوار جيش المهاجر بن أبي أمية[٣]. وكان جمع أفراد هذه البعوث يتم عن طريق شخص عُرف في عصر النبوة بـ"المستنفر "[٤].

موقف عسفان من الأحداث السياسية الكبرى: لقد تأثرت عسفان وأثرت بشكل ملحوظ وخاصة حادثي: الردة، ومقتل عثمان بن عفان وقد كان لها موقفًا واضحا من الأحداث السياسية الكبرى في المنطقة، وسوف يتم الحديث عن بعض هذه الأحداث التي نشبت في تلك المنطقة كما أسلفنا.

١– **حروب الردة:** لقد أظهرت مكة والمناطق المجاورة لها موقفين متباينين، فعندما توفى رسول الله ﷺ ارتد خلق كثير وارتد عدد من أهل مكة وما جاورها، ولكن بعد أن ثبتهم خالد بن أسيد وعادوا إلى الحق كان لهم موقف آخر حيث شاركوا في الحرب ضد المرتدين في مناطق كثيرة منها اليمن عندما أمرهم أبو بكر الصديق التوجه لحرب جندب في اليمن[٥].

ولقد اضطربت الأحوال السياسية بمكة وما يجاورها كعسفان وتوابعها وغيرها من تلك المناطق، وذلك لما توفي رسول الله – ﷺ– حيث ارتد الكثير عن الإسلام ويبدو

---

(٤)ابن حجر: الإصابة ٢٧٠/٤.
(٥)الأمويّ، أخو عتاب والي مكة، أسلم يوم الفتح، وأقام بمكة، وكان من المؤلفة. ابن حجر: الإصابة،١٩٣/٢.
(٦)الطبري: تاريخ الأمم والملوك،٢٩٩/٢.
(٧)الكتاني: التراتيب الإدارية ٢٦٣/١.
(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك،٢٩٠/٢-٣٠٠.

أن الأمر كان شديدا على واليها عتاب بن أسيد فصعبت عليه مواجهتهم فانزوى عن المشهد ولم ينقذ الموقف سوى سهيل بن عمرو القرشي العامري[١] الذي قام بحث أهل مكة والمناطق المجاورة على نبذ الفرقة ولزوم الطاعة، وأحضر عتاب بن أسيد وثبتت قريش على الإسلام[٢]. وقد كتب أبو بكر – رضي الله عنه– إلى عتّاب بن أسيد يأمره أن يجهز بعثا من أهل مكة لقتال جندب بن سلمى المدلجيّ لما أعلن ردته فهزمه، كما أرسل أيضا بأمر من أبي بكر بعثا من أهل مكة بقيادة أخيه خالد بن أسيد، لقتال المرتدين في اليمن إلى جوار جيش المهاجر بن أبي أمية، وقد عانت تلك المناطق من آثار حركة الردة لدرجة أن واليها عتاب بن أسيد لم يستطع السيطرة على الأمر لولا تدخل سهيل بن عمرو، وفي ذات الوقت فقد استعان أبو بكر – رضي الله عنه– بوالي مكة وأهلها لمواجهة حروب الردة خارج منطقة مكة وما يجاورها ولما قضي على الردة في مكة واستقر الحال، ارتأى أبو بكر – رضي الله عنه– أن مكة أضحت قادرة على أن تسهم في مواجهة حركة الردة في البلدان الأخرى وهذا ما دعاه لأن يرسل إلى عتاب أن يوجه بعثا من أهل مكة لقتال جندب بن سلمى المدلجي[٣] ومن ارتد من أهل اليمن وبهذا يرفع التضارب[٤].

٢– فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه: يعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان – رضي الله عنه– حدث جلل في مناطق الحجاز وذلك عام 36هـ /٦٥٦م، فكان لمكة أثر فاعل في مجريات أحداث هذه الواقعة حيث تشكلت بها جبهة مجابهة لقتلة عثمان – رضي الله عنه– ففي هذا العام كانت تعتمر أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها– فلما علمت بحصار الثوار لعثمان بن عفان – رضي الله عنه–

(٢)سهيل بن عمرو صحابي جليل كان من وجهاء مكة، وخطيبها. أسلم يوم الفتح، ومات غازيًا للشام في طاعون عمواس سنة ١٨ للهجرة . ابن سعد: الطبقات، ١٥٣/٢.
(٣)ابن الأثير: أسد الغابة ٥٥٧/٢.
(٤) جندب بن سلمى المدلجي أحد بني سوق. كان ممن ارتد في زمن أبي بكر، فبعث إليه عتاب بن أسيد عامل مكة أخاه خالد بن أسيد فهزمه ، ثم ندم وأسلم ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٩٠/٣.
(٥)ابن حجر: الإصابة ٢٧٠/٤.

بالمدينة خرجت من مكة متوجهة إليها فعلمت وهي بسرف[١] بمقتله وتولي علي بن أبي طالب الخلافة، فانصرفت بالعودة إلى مكة وهي تنوي المطالبة بدم عثمان والقصاص من قتلته، وقامت تحثّ أهل مكة للقيام بذلك وكان أول من أجابها في هذا الأمر عامل عثمان على مكة عبد الله بن عامر العامري[٢] وتبعها على ذلك أيضا بنو أمية الذين هربوا من المدينة بعد مقتل عثمان ثم انضم إليهم والي اليمن يعلي بن أمية[٣] ثم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام واتفقوا جميعا بعد أن تشاوروا أن يتوجها إلى البصرة لوجود الأنصار والأشياع، وأخذت الأحداث بعد ذلك في التطور إلى أن انتهت بموقعة الجمل[٤].

مما سبق يتضح أن هذه الفترة من تاريخ عسفان وما جاورها كانت بمثابة مرحلة انتقالية كانت الأولوية فيها بعد دخول أهلها إلى الإسلام، تنظيم شؤنها الإدارية والاقتصادية، وكذا استيعاب ما ظهر بها من اضطراب سياسي بسبب حروب الردة وغيرها ومن ثم لم تكن الأجواء فيها خلال هذه الفترة مهيأة لأن تشهد حراكا أو رواجا في النواحي الحياتية المختلفة، فهي كمكة لم تكن بمعزل عن الأحداث السياسية الكبرى فقد تأثرت بها وأثرت فيها ويشهد على ذلك موقفها من حروب الردة وكذا حادث مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

المبحث الثاني: الوضع السياسي لمنطقة عسفان في العصر الأموي

شهدت منطقة عسفان تغيرات سياسية جرت عليها كما جرت على باقي مناطق الحجاز، ويعد العصر الأموي من العصور الحساسة التي شهدت تغيرًا سياسيًا

(١) سَرِف واد يقع على مسافة ١٢ كم شمال غرب مكة المكرمة. ويعرف الأن باسم "النوارية"، وقد مر النبي – صلى الله عليه وسلم- في حجة الوداع. البكري، البلادي، المعالم الجغرافية ص١٥٧.

(٢) عبد الله بن مخرمة العامري صحابي من السابقين إلى الإسلام .شهد مع النبي محمد المشاهد كلها، ثم شارك بعد وفاة النبي محمد في حروب الردة، وقُتل في معركة اليمامة؛ ابن سعد: الطبقات، ١٢١/٣.

(٣) يعلى بن أمية بن أبي عبيدة الحنظليّ، شهد حنينا والطائف وتبوك، استعمله أبو بكر على حلوان في الرّدّة، عمل لعمر على بعض اليمن، ولعثمان على صنعاء، شهد صفّين مع علي. ابن سعد: الطبقات ١١/٦.

(٤)الطبري: تاريخ الأمم والملوك،٣/٣ ، ٦ .

ملحوظًا بعد العصر الإسلامي كما ذكرنا سابقًا، ومع بداية هذا العصر أصبحت الحجاز وما يجاورها إقليماً تابعاً للدولة الإسلاميّة ومرتبطاً بشكل مباشر بالخليفة وقد قُسّمت الحجاز في ذلك الوقت إلى ثلاث مناطق رئيسيّة لكل منطقة مركزها وهذه المناطق هي: مكة، والمدينة، والطّائف. وكان مركز ولاية الحجاز هي المدينة المنورة في ذلك الوقت إلا أن عبد الله بن الزبير قد جعل مكة المكرمة مركزاً لولاية مناطق الحجاز في عهده وفي العهد الأموي لم يعد لمناطق الحجاز امتيازات ماليّة كما كان لها في عهد الخلفاء الرّاشدين إذ إنّ فائض الفيء الّتي كانت تذهب إلى المدينة المنورة أصبحت تُرسل إلى دمشق، أما من النّاحية الدينيّة فقد بقي للحجاز امتيازاتها واحتفظت بمكانتها في الدولة الإسلاميّة.[1]ولعل في عرض بعض الأحداث وبعض مظاهر الحياة السياسية في تلك المناطق ما يؤكد، ويوضح مدى مشاركة عسفان ومناطق الحجاز في الحياة السياسية مشاركةً تنبئ عن حيوية لم يعرف اليأس إلى أصحابها طريقا.

الولاة: كانت عسفان إحدى المناطق المجاورة لمكة، وما يجري عليها يجري على منطقة عسفان في الإدارة والحكم والحياة السياسية زمن الدولة الأموية، حيث تولى الحكم عدد من أمراء بني أمية على مكة وماجاورها فحكمها عتاب بن أسيد الأموي حيث كان أول من ولاه الرسول – ﷺ– على مكة والمناطق المجاورة لها كعسفان[2]

مجتمع عسفان والمشاركة السياسية: وقد شيع أن المجتمع في منطقة عسفان ومناطق الحجاز في هذا العصر قد عاشوا بمعزل عن المشاركة في الحياة السياسية عدا فترات قصيرة جداً، وأنهم عاشوا في سكون ويأس، لانتقال الخلافة من مناطقهم إلى بلاد الشام ولأنهم لم يتمكنوا من المشاركة في الحياة السياسية لأن بني أمية حالوا بينهم وبين تلك المشاركة وأغرقوهم بالأموال ليشغلوهم باللهو والترف عن الحكم

(١) ستانلي، لين بول، الدول الإسلامية، ترجمه: خليل أدهم، قطر،مكتبة قطر الوطنية، بدون: ت/ط، ص١٤٢.
(٢)خماش، نجدة: الحجاز في التاريخ، الموسوعة العربية ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٥م، ص ٢٠١٣.

والسياسة فظهر حينها جيل لاهي مترف يجري خلف اللهو والطرب والغناء وقد ذكر هذا الجيل الشعراء الغزليون بتعبيراتهم كعمر بن أبي ربيعة[١] والأحوص بن محمد[٢] وأمثالهم. وفي ذلك يقول طه حسين: نستطيع أن نستنبط أن بلاد العرب بعد أن تم الفتح للمسلمين وبعد أن جاهدت في الاحتفاظ بالسلطان السياسي وأخفقت في الجهاد إخفاقاً شنيعاً وانتقل مركز الحكم منها إلى الشام كما انتقل مركز المعارضة منها إلى العراق وانصرفت أو كادت تنصرف عن الاشتراك في الحياة العامة وفرغت للحياة الخاصة فانكبت على نفسها وأحست شيئاً من اليأس والحزن غير قليل ثم لم تكن هذه البلاد العربية خاضعة لليأس وحده، وإنما كانت خاضعة أيضاً لشيء آخر يناقض اليأس أشد المناقضة، أو قل يلائم اليأس أشد الملاءمة، أريد به الثراء ووفرة المال، فقد كان أبناء المهاجرين والأنصار في مكة والمدينة مثرين وكانت أيديهم ممتلئةً بما ورثوا من هذا الفيء الذي أفاءه الله على آبائهم أيام الفتح ثم كانوا يحتفظون بمكانتهم، ويمثلون الارستقراطية العربية، ثم كان الخلفاء يصانعونهم وإن كانوا يعاملونهم معاملة قاسية كانوا يكرمونهم إكراماً مادياً: كانوا يدرّون عليهم الأموال ويوسعون عليهم في العطاء مراعاةً لمكانتهم واصطناعاً لهم، وكانوا في الوقت نفسه يمسكونهم بمعزل عن الحياة السياسية العملية[٣]. وإذا اجتمع اليأس من الحياة العملية إلى الثروة والغنى فماذا عسى أن ينتجا؟ اللهو والإسراف فيه والعكوف عليه وكذلك أنتج اليأس والثروة في مكة والمدينة فلها هؤلاء الشبان الأشراف الأغنياء اليائسون وأسرفوا في اللهو وتعزوا به عن هذه الخيبة التي أصابتهم في الحياة العامة. ومن هنا نشأ عمر بن أبي ربيعة وأمثاله في مكة ونشأ الأحوص بن محمد وأمثاله في المدينة، ونشأت حولهم هذه الطوائف من المغنيين وأهل المزاح، وقد ردد نحو هذا

(٣)عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ولد(٢٣هـ) وتوفي (٩٣هـ) شاعر قرشي،الذهبي:سير أعلام النبلاء، ٣٧٩/٤.

(١)عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت الأنصاري، من شعراء العصر الأموي، توفي بـ دمشق سنة (١٠٥هـ-٧٢٣ م)، من بني ضبيعة، لقب بالأحوص لضيق في عينه،من طبقة جميل بن معمر ونصيب، وكان معاصرا لجرير والفرزدق من سكان المدينة؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١١٩/٢.

(١) فهمي ، ماهر حسن، المذاهب النقدية دراسة منهجية مقارنة، القاهرة، منشورات البندقية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٧م، ص١٧٣-١٧٤.

القول بعد طه حسين عدد من الدارسين [١]، بل إن بعضهم بالغ في تصوير محاولة الأمويين عزل أهل الحجاز عن الحياة السياسية كعباس محمود العقاد الذي يقول[٢]: " وقد انتقلت الدولة من مناطق الحجاز إلى عواصم الشام فتفرغ أولئك المترفون لحياة الفراغ التي لا رقابة عليها وربما تجاوز الأمر قلة الرقابة إلى التشجيع على حياة المجون والبطالة.لأن أصحاب الدولة الجديدة كانوا يخشون من أبناء الرؤساء في الحجاز أن ينصرفوا عن حياة الفراغ إلى حياة الجد والطموح، فليس في جدِّهم وطموحهم أمان للدولة الجديدة وإنما الأمان لها كل الأمان أن يلعبوا ويَرتعوا ويجتمعوا على اللغو والفضول وإيثار الدعة والرخاء فاستأنفت الحواضر الحجازية تاريخاً قديماً طويلاً في اللهو والمجون"[٣].

عصر خلافة الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: لم يحدث في تلك المناطق أحداث سياسية مهمة إلا ما يتعلق بمسألة البيعة بولاية العهد ليزيد ابنه. وكانت الحياة تمر بهدوء واستقرار وقد كان لهذا الهدوء والاستقرار ثمرة عظيمة وفائدة كبرى حيث ازدهرت الحياة الفكرية واتجه الناس إلى طلب العلم وتوافد على مناطق الحجاز كثير من طلاب العلم من مختلف الأقطار وكان فيه عدد من كبار الصحابة والتابعين. كما أن ذلك الهدوء فتح المجال لمناطق الحجاز وما يجاورها كعسفان للمشاركة في الجهاد في سبيل الله وهو مشاركة في الحياة العسكرية[٤].وقد اتخذ معاوية بن أبي سفيان في سنة ٤١هـ/٦٦١م من الشام مركزاً له ومن دمشق عاصمة للدولة الإسلامية، وأصبح الحجاز إقليماً مرتبطاً بالخليفة، وكانت مكة والطائف تجمع أحياناً لوالي المدينة وأحياناً كان لكل منطقة إدارية واليها، وبقيت المدينة مركز ولاية الحجاز في العصر الأموي إلا إذا استثنيت فترة خلافة عبد الله

(٢)أحمد، محمد عبد القادر، دراسات في أدب ونصوص العصر الأموي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٤٠٢ه، ص٨.
(٣)أحمد،محمد عبد القادر، دراسات في أدب ونصوص العصر الأموي ، مرجع سابق، ص٨.
(٤)العقاد،عباس،جميل بثينة المطبوع مع مجموعة أعلام الشعر، بيروت،دار الكتاب العربي،١٤٠٠ه ص١٢٠.
(١)البستي، ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون: ت/ط، ص٦٩.

بن الزبير ٦٤-٧٣هـ/-٦٨٣- ٦٩٢م، الذي اتخذ مكة مركزاً له، لقد كانت الفترة التي تولى فيها معاوية - رضي الله عنه- الحكم فترة هدوء واستقرار. لكن ذلك لا يعني أن أهل الحجاز والمسلمين بعامة كانوا قد تيقنوا أو غلب على ظنهم أن دمشق ستستمر عاصمة للخلافة. وأن الحكم قد انتقل نهائياً من الحجاز واستقر في البيت الأموي ففي أول الأمر كان الشعور الغالب أن تلك المرحلة ستنتهي بوفاة معاوية وعودة الأمر شورى بين المسلمين وكان معظم بني أمية يقيمون في الحجاز كما يقيم غيرهم من أبناء قريش. ولم يكن الناس يتوقعون أن يبايع معاوية بولاية العهد لابنه يزيد، لذلك وجدت فكرة تولية العهد ليزيد معارضةً قويةً في الحجاز وغيره[١]. وهي فكرة لم تظهر إلا بعد عشر سنوات على الأقل من بداية حكم معاوية، ولم يشأ معاوية فرضها على الناس في الحجاز إلا عام ٥٦هـ قبل وفاته بأربع سنوات، حيث قوبل بمعارضة قوية تؤكد مدى الحيوية التي كان يتصف بها المجتمع، كما أنها تدلنا وتؤكد لنا أن اليأس لم يجد سبيله إلى أولئك القوم. وكان على رأس المعارضين في الحجاز الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهم[٢]. وفي عام ٤٨هـ غزا أهل المدينة في البحر مع أهل مصر وفي عام ٤٩هـ، غزا يزيد بن معاوية الروم حتى بلغ القسطنطينية ومعه ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو أيوب الأنصاري[٣]. وقيل إن هذه الغزوة كانت سنة ٥٢هـ وقيل ٥٥هـ[٤].

وأقام جيش المسلمين في جزيرة رودس سبع سنين من سنة ٥٤هـ إلى سنة ٦٠هـ وفيهم الإمام المفسر مجاهد بن جبر[٥] يقرئ الناس القرآن[٦].وكان مجاهد بن جبر

(٢)الطبري: تاريخ الطبري، ٣٠٢/٥.
(٣) الطبري: ٣٠١/٥.
(٤)المصدر السابق، ٣٠١/٥، ٢٣٢
(٥) الطبري : ٤١٢/٢.
(١) مُجاهِد بْن جَبْر: ويُقال: جُبير(٢١هـ- ٧٢٢م) هو مولى السائب بن أبي السائب المخزومي القرشي. ويعرف اختصاراً في المصادر والكتب التراثية بمجاهد وهو إمامٌ وفقيه وعالمُ ثقة وكثير الحديث، وكان بارعاً في تفسير وقراءة القرآن الكريم والحديث النبوي؛ الزركلي، خبر الدين بن محمود بن محمد(١٣٩٦). الأعلام، دار العلم للملايين ، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م، ١٤٥/٢.
(٢) الطبري تاريخ الطبري، ٣٠١/٥.

ممن فتح جزيرة أرواد، وكان قثم بن عباس[١] مع سعيد بن عثمان بن عفان[٢] في غزوة لسمرقند[٣]. فهذه بعض الأخبار التي تدلنا على مشاركة أهل الحجاز في حركة الفتح والجهاد في سبيل الله في عهد معاوية.

ولاة معاوية على الحجاز:لقد كان معظم ولاة معاوية وقادة جيوشه من مناطق الحجاز، فقد كان عبد الله بن عامر[٤]واليه على البصرة وسجستان وخراسان حتى عام ٤٤هـ. وولّى ابنُ عامر عبد الرحمن بن سمرة[٥] سجستان حيث غزا وفتح بلاداً كثيرة[٦]. وكان عمرو بن العاص – رضي الله عنه – واليه على مصر، ثم وليها بعد وفاته ابنه عبد الله ابن عمرو – رضي الله عنهما – ثم وليها مسلمة بن مخلد الأنصاري[٧] مع أفريقية من عام ٥٠هـ حتى عام ٦٢هـ. كما كان هناك عدد من قادة الجيوش المجاهدة من أهل الحجاز وما يجاورها من تلك المناطق كعسفان ومنهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد[٨] قائد الجيش الذي غزا أرض الروم عام ٤٥هـ. وغزا عقبة بن عامر الجهني[٩] بأهل مصر وأهل المدينة البحر عام ٤٨هـ، وعلى أهل المدينة المنذر بن الزبير[١٠]،وعلى جميعهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، ومنهم

---

(٣) قثم بن العباس بن عبد المطلب ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم ، كان أشبه الناس به، تولى نيابة المدينة في أيام علي، وشهد فتح سمرقند فاستشهد ودفن بها، توفي سنة ٥٧ هـ ،الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤٢١/١.

(٤) سعيد بن عثمان بن عفان الأموي القرشي ، ولي خراسان لمعاوية بن أبي سفيان عام ٥٧ هـ، صحابي جليل وقائد مسلم، وهو ابن الخليفة عثمان أُمه هيّ فاطمة بنت الوليد؛ الزركلي، الأعلام، ١١٢/٣.

(٥)البلاذري: فتوح البلدان، بيروت، دار الكتب العلمية،١٣٩٨م، ص ٣٣٨.

(٦)أبو محمد هو عبد الله بن عامر بن ربيعة المدني، تابعي وأحد رواة الحديث النبوي ، ولد عام الحديبية سنة 7هـ ، وتوفي عام ٨٥هـ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٧٣/١.

(٧)عبد الرحمن بن سمرة هو ابن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، أبو سعيد القرشي العبشمي. هو أحد الصحابة، أسلم يوم الفتح ،توفي في البصرة سنة 50هـ، وقيل سنة ٥١ هـ؛ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١٩٠/٦.

(٨)البلاذري: فتوح البلدان، ص٣٣٨

(٩) مسلمة بن مخلد بن صامت الأنصاري الخزرجي (٦٨ هـ-٦١٨ م) صحابي، ومن كبار الأمراء في صدر الإسلام.. وشهد مع معاوية بن أبي سفيان معارك صفين، فولاه إمارة مصر سنة 47هـ ثم أضاف إليها المغرب، فأقام بمصر، وسير الغزاة إلى المغرب في البر والبحر؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤٢٤/٣.

(١٠)عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي القرشي وهو من صغار الصحابة، أدرك النبي –صلى الله عليه وسلم- ورآه، ومات النبي وهو فتى يافعاً، سكن حمص، وكان معه لواء معاوية يوم صفين. مات سنة ٤٦هـ، قتله ابن أثال النصراني بالسم بحمص؛ ابن حجر: الإصابة، ٢٧/٥؛ الطبري: تاريخ الطبري، ٥٩٣/٢.

(١)عقبة بن عامر بن عبس بن مالك الجهني ١٥ ق. هـ ٥٨ هـ (٦٠٨ هـ-٦٧٨م) أمير، صحابي، كان كاتبًا وشاعرًا وفقيهًا.شهد فتوح الشام، ثم فتوح مصر مع عمرو بن العاص، ثم لحق بمعاوية بن أبي سفيان في صفين. وولي مصر سنة ٤٤ هـ، وعزل عنها سنة ٤٧هـ وولي غزو البحر. مات بمصر، وله ٥٥ حديثا. وفي القاهرة " مسجد عقبة بن عامر" بجوار قبره. الزركلي: الأعلام: ٢٤٠/٤.

(٢)المنذر بن الزبير الأمير أبو عثمان أحد الأبطال ولد زمن عمر، وكان ممن غزا القسطنطينية مع يزيد ووفد بعد عليه قال الزبير فحدثني مصعب بن عثمان أن المنذر غاضب أخاه عبد الله فسار إلى الكوفة ثم وفد على معاوية فأكرمه وأجازه ووصى معاوية أن ينزل المنذر في قبره؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٣١/٢.

محمد بن عبدالله الثقفي[١] الذي غزا الصائفة سنة ٥٢هـ، ومنهم الحكم بن عمرو الغفاري[٢] الذي غزا الغور وفراوندة[٣]. وغزا فضالة بن عبيد الأنصاري[٤] البحر عام ٥٠هـ، وفي عام ٥٤هـ غزا الصائفة معن بن يزيد السلمي[٥]. ويمكن القول إن هؤلاء هم بعض أهل الحجاز الذين تولوا الولايات أو قيادة الجيوش في عهد معاوية ولعل في هذا ما يوضح لنا أن أهل الحجاز شاركوا في الحياة السياسية مشاركةً فعالةً، وأنهم لم يكونوا منصرفين عن هذا المجال وصحيح أن الذين تولوا الأعمال الكبرى كان معظمهم من الموالين لمعاوية وهذا أمر طبيعي. ولكن من الواضح أن الذين يمكن أن يقال عنهم إنهم لم يكونوا من أنصار معاوية لم يتجهوا كما زعم الزاعمون إلى اللهو والترف، فقد رأينا من ضمن الذين غزوا القسطنطينية مع يزيد، وابن عباس، وابن الزبير، أبا أيوب الأنصاري الذي كان والياً لعلي رضي الله عنه على المدينة، وابن عمر الذي كان من الممتنعين عن البيعة بولاية العهد ليزيد، وما هذه الأسماء إلا نماذج تدلنا على الاتجاه الذي اتجه أولئك الذي لم يشتركوا في الحكم اشتراكاً فعلياً.إضافة إلى الاتجاه العلمي الذي جعل من الحجاز أكبر مركز علمي في تلك الفترة. ولا شك أن عدد الذين شاركوا في حركة الجهاد والحركة العلمية كان عدداً كبيراً، ولكن التاريخ عادةً يقتصر على أسماء بعض المشاهير. فإطلاق القول بأن مناطق الحجاز وما جاورها لم تشارك في الحياة السياسية زمن الأمويين، يجب أن يؤخذ في كثير من التحفظ والحرص وإلا فقد كان الحجاز إبَّان عمر بن أبي ربيعة وأمثاله، مركز المعارضة القوية التي تزعمها الحسين ثم عبد الله بن الزبير من بعده. وقد وقفت مكة تجاه الأمويين في دمشق، موقف الخصم العنيد، وثبتت في المعركة

---

(٣) أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله بن نمير الهمداني الخارفي،(١٦٠ه - ٢٤٠هـ)، أحد رواة الحديث ، كان من أهل الكوفة، ولد سنة ١٦٠ هـ ،الذهبي:سير أعلام النبلاء، ٣١٢/٤

(٤)الحكم بن عمرو الغفاري الكناني صحابي، من كبار قادة الفتح ، وكانت جميع فتوحاته في المشرق الإسلامي في بلاد خراسان وبلاد ما وراء النهر وولاه معاوية خراسان فمات بها؛ الزركلي: الأعلام، ١٢٤/٢.

(٥)الحموي، معجم البلدان، مادة خرسان وهذه المناطق قائمة بها وهي مناطق جبال ومنعة وخضرة.

(٦) فضالة بن عبيد صحابي أحد رواة الحديث من الأنصار . شهد المشاهد كلها بعد بدر، وكان ممن بايع تحت الشجرة، سكن الشام، وجعله معاوية أميرًا على جيش غزا به الروم في البحر، فسبى بأرضهم.توفي سنة ٥٣هـ ،ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣٠٧/٤.

(٧)الطبري: تاريخ الطبري، ٢١١/٥، ٢١٦، ٢٤٠، ٢٨٧.

سنين عدداً قبل أن تهزم بعد حصار مجهد. كما ظل لها بعد ذلك كله نفوذها الروحي يبسط ظله على الدولة الكبرى. [١] ويتضح مما سبق أن أهل الحجاز في تلك الفترة باشروا العلم السياسي ولم يتخلوا عنه ولم يصبهم اليأس والإحباط، ولكنهم شاركوا في الحياة السياسية مشاركة فعالةً، وقد شاركوا في الجهاد في سبيل الله والفتوحات وقادوا الجيوش الغازية وتولوا معظم ولايات الدولة الإسلامية ثم ثاروا على يزيد لأنهم لم يروه أهلاً للخلافة ثم عادت الخلافة للحجاز وما جاورها، ودانت لهذه الخلافة معظم الأقطار الإسلامية وهذا منافي لمن ذهب إلى أنهم كانوا بمعزل عن الشؤون الكبرى للدولة كما وصفهم الأدباء وإن التاريخ ليشهد بأن تلك المنطقة كان مركزًا للمعارضة القوية التي دوخت الأمويين وكلفتهم ثمنًا باهظا.

مشاركة منطقة عسفان وأهل الحجاز في خلافة معاوية: شارك أهل الحجاز والمناطق المجاورة لها في تولي الولايات في عهد معاوية، وكانت لهم مشاركة أيضاً في عهد الخلفاء المروانيين، ولكن بدرجة أقل مما كان في عهد معاوية. وربما يعود السبب في ذلك إلى أن الناس كانوا ينظرون إلى قريش والأنصار على أنهم حملة هذا الدين وأهل القيادة والريادة فيه وهم الذين لهم الحق في أن يتولوا أمور الناس وكان لا يزال على قيد الحياة عدد كبير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش والأنصار. ولكن الفترة التالية أبرزت قوة القبائل العربية الأخرى وثقلها وقدرتها على التأثير في الأحداث ولاسيما أن تلك القبائل قد استقرت في البلاد المفتوحة وأصبح لها شأن كبير فيها. إضافة إلى أن جيل الصحابة كان قد مضى ولم يبق منهم إلى عدد ضئيل جداً كانوا من كبار السن وفي هذه الفترة يبدو أن كثيراً منهم لم يكونوا راضيين رضىً كاملاً عن حكام بني أمية كما أن بعض أولئك الحكام لم يكونوا مطمئنين إلى أهل الحجاز فقد ذكر ابن الأثير أن عبد الملك بن مروان لما حج بالناس سنة ٧٥هـ خطب في أهل المدينة وحذرهم وعاب عليهم أنهم يقولون مالا

---

(١) بنت الشاطئ ، عائشة عبد الرحمن ، سكينة بنت الحسين، ط٤، القاهرة، دار الهلال، ١٩٧٠م، ص١٤٨.

يفعلون(١). ورُوي أن الوليد بن عبد الملك لما حج عام ٩١هـ خطب الناس في المدينة وفي مكة وهددهم وحذرهم من الخلاف(٢). كما رُوي أن هشام بن عبد الملك منع العطاء عن أهل المدينة وأهل مكة سنة لما خرج زيد بن علي عليه(٣). ومع ذلك فقد بقيت أوضاع الحجاز هادئة مستقرة مما جعل بعض أهل العراق يفرون إليه هاربين من ولاة بني أمية ولا سيما أيام الحجاج بن يوسف. فقد كان عمر بن عبد العزيز والياً على المدينة، وكان يرفض التضييق على الهاربين والقبض عليهم مما دعا الوليد بن عبد الملك إلى أن يعزله ويولي ولاة متشددين. وكانت مسألة الهاربين من المسائل التي أوجدت جواً من التوتر بين الولاة والرعية، حيث كان الولاة يحذرون أهل الحجاز من التستر على أحد من أهل العراق ومن هؤلاء الولاة عثمان بن حيان المري(٤) الذي ولي المدينة بعد عمر بن عبد العزيز وخالد بن عبد الله القسري(٥) الذي كان والياً على مكة وفي أواخر العصر الأموي عندما سادت الفوضى وانتشرت الفتن في معظم أجزاء الدولة الأموية، نال الحجاز وما يجاورها نصيبا من ذلك عندما قدم جيش من الخوارج إلى مكة في موسم حج عام ١٢٩هـ فاستولى عليها بعد أن هرب عبد الواحد بن سليمان(٦) ولي الحجاز إلى المدينة وجهز من هناك جيشاً التقى مع جيش الخوارج في قديد(٧) فانهزم أهل الحجاز وقُتل عددٌ كبير منهم، ودخل المدينة ثم ما لبث أن انهزم أمام جيش الأمويين، وعاد الحجاز مرة أخرى إلى حكم الأمويين حتى دخل في حكم العباسيين عام ١٣٢هـ(٨).

(٢)ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٤١/٤

(٣)اليعقوبي، أحمد: تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار بيروت،١٤٠٠ه، ٣٨٥/٢ .

(٤) هي ثورة قام بها زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، في الكوفة ناحية العراق، ضد الأمويين، وانتهت بمقتله، الأصفهاني: الأغاني، ٢٢/٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ص٨٣.

(١)عثمان بن حيان بن معبد بن شداد بن نعمان بن رباح ويلقب بأبي المغراء الدمشقي، كان رجلاً من أهل الخير، وكان ثقة في الحديث، ويروي عن أم الدرداء، تولى المدينة سنة ٩٣هـ، وذلك برأي من الحجاج بن يوسف الثقفي؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٤٣/٢.

(٢)خالد بن عبد الله القسري البجلي، ويكنى أبا القاسم وقيل أبا الهيثم، قتله الخليفة الأموي سنة ١٢٦ه؛ الزركلي: الأعلام، ٧٦/٤.

(٣)عبد الواحد بن سليمان 'بن عبد الملك بن مروان، أمير مرواني أموي، ولي إمارة مكة والمدينة سنة ١٢٩هـ ، ولما تمكن العباسيون من الحكم كان واحدا ممن قتلهم صالح بن علي ؛ الزركلي: الأعلام، ٧١١/٤.

(٤)هي منطقة تقع في محافظة خليص تبعد عنها حوالي ٥٠ كلم تقريباً عن عسفان. كانت تشتهر بكثرة العيون والمزارع فيه ٢٥ عيناً اندثر بعضها؛ البلادي: معجم معالم الحجاز، ٩٦/٧ـ٩٩.

(٥) الطبري: تاريخ الطبري، ٣٧٤/٧

مما سبق يتضح أن مشاركة الحجازيين والمناطق المجاورة لها كعسفان وغيرها في الحياة السياسية في هذه الفترة كانت أقل من مشاركتهم في الفترة السابقة. ولقد كانت المعارضة لا تزال قوية في الحجاز فقد كان سعيد بن المسيب غير راضٍ عن حكم بني مروان، ورفض البيعة بولاية العهد للوليد بن عبد الملك ما جعل والي المدينة يضربه ستين سوطاً. وكان سعيد يرفض أن يقبض أمواله من العطاء ويقول: لا حاجة لي فيها حتى يحكم الله بيني وبين بني مروان، وكان خبيب بن عبد الله بن الزبير من أشد المعارضين لبني مروان فكتب الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز لما كان والياً على المدينة يأمره بأن يضرب خبيباً ويصب الماء البارد على رأسه فمات خبيب من ذلك. وبلغ الوليد بن عبد الملك أن لأبي هاشم بن محمد بن الحنفية شيعة في العراق يتخذونه إماماً وأنه يدعو لنفسه، فكتب إلى واليه في المدينة لِيُشخص إليه أبا هاشم فلما وصل إليه أمر بحبسه وكما خرج الحسين بن علي رضي الله عنهما ثائراً على يزيد بن معاوية خرج حفيده زيد بن علي ثائراً على هشام وخرج بعده ابنه يحيى بن زيد(١).وقد ظهرت مواقف قوية كانت لبعض علماء الصحابة والتابعين تجاه الخلفاء والولاة، فقد كانوا ينكرون عليهم انحرافهم إذا انحرفوا ويصوبونهم إن أخطأوا. وكان بعضهم يرفض أن يأخذ شيئاً منهم ويترفع عن ذلك(٢). والروايات هنا كثيرة التي رواها العلماء في ذلك كثيرة جداً. ومن ذلك أن الحجاج لما دخل مكة وقتل ابن الزبير رضي الله عنه وقف خطيباً فقال: إن ابن الزبير غيَّر كتاب الله. فتصدى له عبد الله بن عمر رضي الله عنه غير مبالٍ ببطشه وجبروته وقال له: ما سلطه الله على ذلك، ولا أنت معه ولو شئت أن أقول: كذبت لفعلت. ولكي يشعره الصحابي الجليل جابر بن عبدالله بهوانه عليه فقد دخل عليه ولم يسلم عليه، ولم يكن يصلي وراءه(٣). ولما حج الوليد بن عبد الملك عام ٩١هـ وقدم إلى

(١)الطبري: تاريخ الطبري، ١٦٠/٧، ٢٢٨.
(٢)الطبري: تهذيب تاريخ دمشق، ٤٣٦/٥.
(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ١٢١/٩

المدينة أراد أن يدخل إلى المسجد فينظر إلى بنائه فأخرج منه الناس فما ترك فيه أحد إلا سعيد بن المسيب(١) لم يتجرأ أحد من الحرس أن يخرجه فقيل له لو قمت قال: والله لا أقوم حتى يأتي الوقت الذي كنت أقوم فيه، قيل: فلو سلمت على أمير المؤمنين قال: والله لا أقوم إليه(٢). ومن ذلك ما رواه سفيان بن عيينة(٣) قال: " دخل هشام بن عبد الملك الكعبة، فإذا هو بسالم ابن عبدالله(٤)، فقال له: يا سالم سلني حاجة. فقال له: إني لأستحيي من الله أن أسأل في بيت الله غير الله. فلما خرج . خرج في أثره فقال له: الآن قد خرجت فسلني حاجة، فقال له سالم من حوائج الدنيا أم حوائج الآخرة؟ قال: بل من حوائج الدنيا، فقال له سالم: ما سألت من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها"(٥).

وأرسل سليمان بن عبد الملك –لما قدم المدينة– إلى صفوان بن سليم(٦) بخمسمائة دينار فرفض أن يأخذها وخرج من المدينة فلم يُرَ بها حتى خرج سليمان منها(٧).

فهذه بعض الأمثلة لمواقف علماء الحجاز من الخلفاء والولاة، وهي مواقف لم تأت عبثًا ولم تكن تصرفاتهم تصرفات فردية ذات دلالة محدودة، فقد كان لهم تأثير في نفوس الناس والمجتمعات.

السجون في الدولة الأموية:

ظهرت السجون في هذا العصر نتيجة لاتساع الفتوحات الإسلامية في الشرق والغرب بعد عصر الخلفاء الراشدين وقد توسع الحكام في اتخاذ سجون خاصة بعد تزايد الحركات السياسية المناوئة للسلطة، ورغبةً في السيطرة على الجرائم الجنائية

---

(٤) أبو محمد سعيد بن المسيِّب حزن بن أبي وهب القرشيُّ المخزوميُّ المدنيُّ تابعي مدني.، (15هـ - ٩٤ هـ) المُلقّب بـ "عالم أهل المدينة "، أحد رواة الحديث النبوي، توفي سنة ٩٤ه؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١١٥/٤.

(٥)الطبري: تاريخ الطبري، ٤٦٦/٦

(٦)سفيان بن عيينة إمام ومحدث شهير.ولد في الكوفة سنة ١٠٧ هـ وتوفي ١٩٨ هـ. أجمع الناس على صحة حديثه وروايته ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤٥٤/٤.

(٧)سالم بن عبد الله ابن عمر بن الخطاب. ولد في خلافة عثمان بن عفان وتوفي سنة ١٠٦هـ ،٤٥٨/٤.

(٨)ابن الجوزي ـ أبو الفرج : صفة الصفوة، بيروت، دار المعرفة، ط١٣٩٩/٢م، ٩١/٢.

(١) صفوان بن سليم أبو عبد الله ، وقيل : أبو الحارث القرشي الزهري المدني مولى حميد بن عبد الرحمن بن عوف ، الإمام الثقة الحافظ الفقيه .مات سنة ١٣٢هـ ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٣٦٥/٥ .

(٢)الأصبهاني، أحمد بن عبدالله (ت٤٣٠ه): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١٤٠٩/٢ه، ١٦١/٣.

التي انتشرت مع زيادة رقعة الدولة. وقيل إن معاوية بن أبي سفيان (٦٠هـ – ٦٨٠م) أول مَن أنشأ السجون بشكلها المعروف اليوم وخصص لها حراساً، وبنى عبدالله بن الزبير سجناً في مكة، وقد أغلق بعد مقتل ابن الزبير سنة (٧٣هـ – ٦٩٢م)[١]. وقد أنشأ الأمويون سجوناً في الحجاز، وحوّلوا دار عبد الله بن سباع الخزاعي [٢]في المدينة إلى سجن عُرف بسجن ابن سباع[٣]. كما تحوّلت دار ابن هشام في المدينة إلى سجن في أواخر العصر الأموي. وأنشئ سجن في عسفان بين مكة والمدينة في خلافة هشام بن عبد الملك، لأنها كانت تمثل نقطة ربط مهمة بين المناطق المجاورة، وسجن آخر في تباله قرب الطائف. وكذلك ظهر سِجن في العقيق من بلاد بني عقيل، وسجن دوّار في اليمامة[٤].ولم تذكر المصادر صفات هذه السجون أو متى تم الاستغناء عنها إلا في البعض اليسير مثل السجن الذي استخدمه عبد الله بن الزبير وتم الاستغناء عنه فور القضاء على دولته ، ومما يدل على أهمية عسفان خلال العصر الأموي اتخاذ سجن بها في هذا العصر من قبل الخلفاء واهتمامه ببسط الأمن والأمان والاستقرار في هذه المنطقة خلال العصر الأموي.

أسباب نشأة السجون: لقد أنشئت هذه السجون لأسباب سياسية، وكذلك للجرائم الجنائية مثل: القتل وإلحاق الأذى الجسدي بآخرين وقطع الطريق والاعتداءات والاختلاس والسرقة والتزوير، وكل الجرائم التي زجت بكثيرين في السجون، فكان القاتل يُسجن حتى ينال قصاصه أو يعفو أولياء المقتول عنه أو يقبلون الدية وإذا قتل السيد عبده فإنه يسجن أيضاً ولا يُقتل. أضف إلى ذلك الأسباب السياسية والتي مثلت طريقاً مؤدياً لدخول السجن في تلك الفترة، كالانتماء إلى حركات المعارضة السياسية، والمشاركة في الثورات، وهجاء الخلفاء. وقد حبس الوليد بن عتبة، والي

---

(٣)عبد الله بن سباع بن عبد العزى الخزاعي أسلم بعد الفتح ، وعاش عبد الله إلى خلافة بني مروان، له صحبة؛ لأنه من أهل الحجاز، ولم يبق منهم بعد الفتح إلا مَنْ أسلم وشهد حجةَ الوداع، الإصابة ـ جـ٤/ص ٩٠

(٤)ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ص٧٠.

(٥) هاني أبوالرب ، السجون في الحجاز في صدر الإسلام ،جامعة القدس المفتوحة، مجلة المجتمع، العدد الثامن ، ١٤٣٦هـ/٢٠١٤م ، ٣٠٣-٣٤٢.

(١)الفاكهي: أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، ٢٢١/١. ؛ أبو الرب ، المرجع السابق ص ٦ .

المدينة في عهد يزيد بن معاوية كلاً من عبد الله بن مطيع العدوي القرشي، ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهري لأن هواهما مع ابن الزبير وميلهما إليه". بينما حبس عبد الله بن الزبير الشاعر أبي صخر الهذلي في سجن عارم بمكة لأن هواه مع بني أمية، ولأنه مدح الأمويين وذم ابن الزبير في وجهه. ونقل الوليد بن عبد الملك (٦٦٨ م– ٤٨هـ) أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية من المدينة إلى دمشق وحبسه هناك بعدما بلغه أنه يدعو لنفسه وأن له مؤيدين في العراق يتخذونه إماماً ويحملون إليه صدقاتهم(١). وقد تم اختيار مواقع السجون بالقرب من المدن المهمة أو بداخلها حتى يكون نزلاء تلك السجون تحت أعين الخلفاء، مما يسهل سرعة الوصول إليهم والسيطرة عليهم بسهولة . ويبدو أن السجون لم تكن متنوعة أو متخصصة حيث يُسجن في السجن الواحد السارق والقاتل والخارج على الخليفة.

سجن منطقة عسفان: أنشئ هذا السجن في عهد خلافة هشام بن عبد الملك في عسفان بين مكة والمدينة(٢)، وقد كان له محط اهتمام الكثير من الخلفاء حيث كانوا يستخدمونه لمآرب سياسية وجنائية، كجرائم القتل والتزوير والتدليس والاعتداء حتى باللسان والتشهير على الآخرين، وقد روي أن: "الخليفة هشام بن عبد الملك (٦٩١ م – ٧٢هـ) حبس الشاعر الفرزدق في سجن عسفان لأنه مدح علي بن الحسين زين العابدين (٦٥٨ م– ٦٦هـ) ونوّه بذكره أمام الشاميين في موسم الحج بمكة مخالفاً بذلك رغبة الخليفة"(٣). حيث يقول في مطلع قصيدته(٤):

يا سَائِلِي: أَيْنَ حَلَّ الجُودُ وَالكَرَمُ ... عِنْدِي بَيَانٌ إذَا طُلاَّبُهُ قَدِمُوا
هَذَا الذي تَعْرِفُ البَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ ... وَالبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَرَمُ
هذا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللهِ كُلِّهِمُ ... هَذَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ العَلَمُ

(٢) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ص٧٩.
(١) ابن الكردبوس،عبد الملك، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٩م، ١/ ٣٥٩.
(٢) المجلسي، محمد باقر(ت١١١١ه)، بحار الأنوار، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٢٩ه- ٢٠٠٨م، ١٢٥/٤٦.
(٣)الأصفهاني: الأغاني، ٢١٧/١٥.

هَذَا الذي أحْمَدُ المُخْتَارُ وَالِدُهُ   صَلَّي عَلَيهِ إلَهِي مَا جَرَي القَلَمُ

فجعل الفرزدق يهجو هشامًا وهو في الحبس، فكان مما هجاه به قوله[١]:

أيحبسني بين المدينة والتي   إليها قلوب الناس يهوي منيبها

يقلب رأسًا لم يكن رأس سيد   وعينا له حولاء باد عيوبها

فأخبر هشام بذلك فأطلقه، وفي رواية أبي بكر العلاف أنه أخرجه إلى البصرة[٢].

وقد سجنت الدولة بعض الأشخاص لأنهم حاولوا اغتيال الخليفة أو الوالي. حيث سبق وأن أَسَر عبد الله بن الزبير أخاه عمراً الذي قاد جيشاً أموياً لقتاله، وحبسه في سجن عارم حتى مات، وسجن عدداً من المشاركين معه ومنهم زيد مولى بني زهرة الملقب بعارم[٣].ومن الوقائع اتهام عبدالله بن الزبير ابنه حمزة عامله على البصرة، بتبذير الأموال وقيده وحبسه في سجن عارم بمكة[٤]. وفي عهد معاوية، قام والي المدينة مروان بن الحكم (٦٨٥ م– ٦٥هـ) بسجن رجلاً حاول اغتياله بسكين أثناء قيامه للصلاة في المسجد النبوي. وقد سجن هشام بن عبد الملك عامله على سعاية الحجاز الحكم بن المطلب المخزومي[٥] بتهمة اختلاس أموال الصدقات التي كان يتولى جبايتها وصرفها في غير مكانها، وساق كل من رفض البيعة للخليفة. فقد سَجن عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية ومعه ١٥ رجلاً من بني هاشم في سجن عارم بمكة لأنهم رفضوا أن يبايعوه خليفةً[٦]. وفي عهد عبد الملك بن مروان حبس هشام بن إسماعيل المخزومي والي المدينة الفقيه سعيد بن المسيب المخزومي سنة(٨٦هـ / ٧٠٥ م) لأنه رفض البيعة لأبناء عبد الملك، الوليد وسليمان، بولاية

---

(٤) الفرزدق، همام بن غالب: ديوان الفرزدق، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م- ١٤٠٧ه، ٥١/١.

(٥)المجلسي: بحار الأنوار، ١٢٥/٤٦.

(١)الفاكهي: أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، ١٠١/٣.

(٢)القرشي، الزبير بن بكار بن عبدالله، جمهرة نسب قريش، جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق : محمود شاكر، القاهرة، مطبعة المدني، ١٣٨١ ه، ص٤٠.

(٣)الحكم بن المطلب بن عبد الله بن حنطب القرشي المخزومي المدني ، وكان جده حنطب بن الحارث بن عبيد المخزومي من مسلمة الفتح.الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٣١٧/٥ ..

(٤) الأصفهاني: الأغاني، ٧٥/٢١.

العهد، فأمر عبد الملك والي المدينة بإطلاق سراحه، لأنه يعلم أنه ليس عند سعيد شقاق ولا خلاف، فأخلى سبيله(١).

وأوضح أبو غدة أن عقوبة الحبس كانت تُنزل بحق مرتكبي جرائم نزلت في بعضها حدود وأرجع ذلك إلى أن حدود الإسلام وحدها لم تكن تردع بعض المجرمين الخطيرين فكانوا يُسجنون لحماية المجتمع منهم(2).

ومما سبق يتضح أن عسفان كمنطقة من الحجاز كان يجري عليها ما يجري على بقية الحجاز وكانت تتبع مكة والمدينة في مواقفها السياسية، فإن صغت مكة والمدينة للخلفاء صغى الحجاز كله لهم، وإن تعكر صفو العلاقة بين الخلفاء ومكة والمدينة تعكر صفو الحجاز كلها ووقفت إلى جانب مكة والمدينة.

المبحث الثالث: الوضع السياسي لمنطقة عسفان في العصر العباسي.

نسب العباسيين واستقرار علي بن عبدالله في الحميمة :ينسب العباسيون إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي بن عم رسول ﷺ (١) ، وكان العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أسنّ من رسول الله ﷺ بثلاث سنين وكان من أكبر رجال بني هاشم مكانة، وأكثرهم مالاً في الجاهلية(٢)،فقلدوه قيادتهم، كانت إليه السَّقاية والرِّفادة وعمارة المسجد الحرام(٣)،وقد حضر بيعة العقبة مع الأنصار قبل أن يسلم وشهد بدراً مع المشركين مكرها فأسر فافتدى نفسه ورجع إلى مكة، ثم أسلم وكتم إسلامه، ثم هاجر إلى المدينة قبل الفتح بقليل وشهد فتح مكة وثبت يوم حنين مع النبي ﷺ وكان النبي ﷺ يجله ويقدره وقد كانت وفاته بالمدينة في رجب سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة ودُفن بالبقيع رضي الله

(٥)السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣، ٤٠٦/١.
(١)الفاكهي: أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، ٢٢١/٣.
(٢) طقوش ، تاريخ الدولة العباسية ، صـ ٨
(٣) ابن سعد ، أبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد الطبقات الكبير ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط١، ١٩٩٩م ، ج٣٩٩/٧ .
(٤) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج ٣ صـ ١٠٩ .

عنه[٤] .وكان للعباس عدد كبير من الأولاد منهم الحارث[٥] وقثم[٦] وعبيد الله[٧] وعبد الله الذي كان يطلق عليه حبر الأمة من صحابة رسول الله ﷺ، كان عالماً ولاه علي بن أبي طالب رضي الله البصرة في خلافته وكان يقاتل معه وكان علي ابن أبي طالب أرسله لمناقشة الخوارج ، تزوج وكان له من الأبناء عدة أبناء كان أشهرهم وأفقههم علي بن عبد الله بن العباس أجل إخوته قدراً وأعظمهم خطراً وكان مثالاً للرجل الكامل في تمام خلقته وحسنه وورعه ونبله، كان أصغر ولد أبيه سناً وكان يقال له السجاد لعبادته وفضله وأثَّر في بنيه وحفدته، فنشأوا على هديه وسمته واقتدوا بمذهبه وسيرته، فكانوا أشهر الناس تلاوة وقياماً وصياماً وصلاحاً [٨] حتى قيل فيهم: أفضت الخلافة إليهم وما في الأرض أحد أكثر قارئاً للقرآن ولا أفضل عابداً وناسكاً منهم بالحُميمة[١] بعد أن أنزلهم بها الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي عندما خشيهم وظهر له سعي علي بن عبد الله بن عباس وراء الخلافة [٢] وكان عالماً له معرفة ورواية عن أبيه وكان سيداً شريفاً بليغاً وكان كبير المحلَّ عند أهل الحجاز [٣] . وقد ظهرت فكرة انتقال الخلافة إلى ولد العباس على يد علي بن عبد الله بن عباس[٤] فقد كان أبا هاشم بن محمد بن علي بن أبي طالب[٥] مقيماً بالحميمة عند بني عمه بعدما شعر بدنو أجله ، بعد زيارة قام بها لدار الخلافة بدمشق ، فلما مرض ظن أنه قد سقي سماً فمضى إلى ابناء عمه في الحميمة ناقماً على بني أميه وأعطى نصيبه

---

(٤) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٣ صـ ١١١ .

(٥) هو الحارث بن العباس بن عبد المطلب ابن عم رسول ﷺ، عُمي وتوفي بعد أبيه . العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٢م ١٤٣٣هـ ، صـ ٢٥٩.

(٦) هو قُثَم بن العباس بن عبدالمطلب. استُشهد بسمر قند سنة ٥٧هـ. العسقلاني ، الإصابة :ج٣ صـ٢٤٥ .

(٧) ابن عم النبي ﷺ، وكان أصغر من أخيه عبدالله بسنة. كان كريما جميلا وسيما توفي سنة ٥٨هـ باليمن . ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) البداية والنهاية ، ط١ ، بيروت ، دار احياء التراث العربي ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ، ج١١ صـ ٣٣٤.

(٨) ابن سعد : الطبقات الكبير ، ج٥ صـ ٣١٤ .

(١) الحميمة : بلد من أرض الشراة من أعمال عمان في أطراف الشام , وهي منزل العباسيين. أنظر . ياقوت الحموي : معجم البلدان , الطبعة الأولى , بيروت , ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م , ج ٢ , ص ٣٠٧.

(٢) هو أبو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي ، تولى بعهد من أبيه ومات في جمادى الآخرة سنة ٩٦ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٤ ، صـ ٣٤٨ .

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٥ صـ ٢٥٣.

(٤) ابن حزم:أبو محمد علي بن أحمد(ت: ٤٥٦هـ)،جمهرة أنساب العرب، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٣، ص٢٢.

(٥) محمد بن علي بن أبي طالب ، أبو القاسم أمه خولة بنت جعفر الحنفية ونسب لها تمييزا له عن بقية أولاد علي،ولد عام ١٣هـ، حمل لواء أبيه يوم صفين، وتوفي عام ٨١هـ .شاكر ، محمود : التاريخ الإسلامي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٢١هـ ج٥ ، صـ ٣٩.

من الخلافة إلى علي بن عبد الله وأولاده وأوصى أولياءه به فصارت الشيعة الكيسانية في جانب علي بن عبد الله بن عباس [٦]. وقد علم الوليد بن عبد الملك في عهده أن علياً يطلب الخلافة ويتنبّأُ بانتقالها إلى بنيه فضيق عليه ونال منه وشهر به، ثم جلده وطرده من بلاد الشام وتراجعت منزلة علي في عهد الوليد، وساءت حاله واضطربت وقد التمس الوليد الأسباب للانتقام منه والإضرار به فجلده مراراً ونفاه.[٧] فلما استخلف سليمان بن عبد الملك [٨] ردّه إلى دمشق، وأخلى سبيله، وأزال عنه ما لحق به من ظلم فصلحت حاله واستقامت، ورجع إلى الحميمة، فأقام بها حرّاً عزيزاً، وعاود فيها نشاطه لا رقيب له ولا حسيب عليه .ولما جاء عهد عمر بن عبد العزيز أمر بالكف عن اضطهاد بني هاشم، وقسم فيهم سهم ذي القربى، فانتعشوا وكتبوا إليه: يشكرون له ما فعله من صلة أرحامهم [٩] .وقد توفي علي بن عبد الله بن العباس عام ١١٨هـ وأوصى بالإمامة من بعده لابنه محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وذلك لما كان يمتاز به من فهم وعلم [١] .

مما سبق يتضح أن الدولة العباسية او العباسيون عموماً ينسبون إلى عبد الله بن عباس بن عبد المطلب وهو ابن عم النبي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم، وقد ظهرت فيهم الدعوة للخلافة وتولي الأمر على يد علي بن عبد الله ولكن التنفيذ والتخطيط لتولي الأمر كان على يد محمد بن علي بن عبد الله بن عباس.

اوضاع الدولة الأموية عند قيام الثورة: كانت اوضاع الدولة الأموية مهيأة تماماً لقيام الثورة وذلك للأسباب التالية:

(٦) الخضري بك، الشيخ محمد :محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ، ط١ ، بيروت ، ١٤٠٦-١٩٨٦، صـ١٨.
(٧)عطوان، حسين:الدعوة العباسية مبادئ وأساليب، ط١،بيروت، دار الجيل، ١٤١٥هـ.صـ ١٥٤-١٥٧ .
(٨) سليمان بن عبد الملك. ولي الخلافة بعهد من أبيه بعد أخيه سنة ٩٦هـ ، ومولده سنة ٦٠هـ. وكانت وفاته يوم الجمعة عاشر صفر سنة تسع وتسعين. السيوطي : تاريخ الخلفاء ، صـ١٦٩-١٧٠.
(٩) ابن سعد الطبقات الكبرى ، ج٥ صـ ٣٩١ .
(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٥ صـ ٢٨٥ .

- قيام حركات تمرد في أنحاء خراسان ضد السلطة الأموية حيث قام بها زعماء القبائل مثل جديع بن علي الكرماني وهناك ثورة قد اشتعلت بالكوفة قام بها عبد الله بن معاوية من ولد جعفر بن أبي طالب وانضم معه الكثير من الغاضبين مما فت من عضد الدولة وأربكها، وقد دخل فيها بعض أفراد الأسرة العباسية ومن بينهم أبو جعفر والسفاح وعمهم عبد الله بن علي الذين ربما قصدوا من ذلك إفشال هذه الثورة، وقد حدث ذلك حيث كانت نهايته على أيدي رجال الدعوة العباسية في خراسان، ولآن خراسان لا تحتمل أكثر من دعوة وهي الدعوة العباسية[٢].

- وفي الشام حروب طاحنة بين الأمراء الأمويين على السلطة.

- اشتداد العصبية القبلية في خراسان والعراق والشام، فقد كانت تتخبط بالانقسامات والفوضى، وحتى الأندلس وصلت العصبية فيها إلى حروب طاحنة بين المضرية واليمنية.

- خروج الضحاك بن قيس الشيباني في العراق والجزيرة.

- ثورة الخوارج في كل مكان في العراق، أو الحجاز، واليمن.

- عصيان كثير من المدن، في سوريا وفلسطين والأردن حيث خرجت عن طاعة الخليفة.[٣]

تولي أبو العباس السفاح الخلافة. بويع بالخلافة في سنة ١٣٢هـ فصعد إلى المنبر ، فقام في أعلاه، وصعد داود بْن علي فقام دونه، فتكلم أبو العباس، فقال:" الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه تكرمة، وشرفه وعظمه، واختاره لنا وأيده بنا، وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والقوام به، والذابين عنه والناصرين له، وألزمنا كلمة التقوى، وجعلنا أحق بها وأهلها، وخصنا برحم رسول الله ﷺ وقرابته، وأنشأنا من

(٢) الصلابي ، الدولَة الأمويّة عَواملُ الازدهار وَتَداعيات الانهيار ، ج٢ صـ ٥٤٥.
(٣) الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٨ ، صـ ٢٣٣-٢٣٦ .

آبائه، وأنبتنا من شجرته، واشتقنا من نبعته[٤]، إلى ان قال ... فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا، وأوجب عليهم حقنا ومودتنا، وأجزل من الفيء والغنيمة نصيبنا تكرمة لنا، وفضلا علينا، والله ذو الفضل العظيم.[١]،وكانت كفة الموالين للخليفة العباسي هي الراجحة فبويع له بالخلافة يوم الجمعة يوم الجمعة (١٢ ربيع الآخر عام ١٣٢هـ)[٢] ويبدو أن أبا مسلم الخراساني كان على علم بالأمر أو استشار فيه على الأقل ،ومن الممكن اعتبار بدء تاريخ ولايته منذ مقتل مروان الثاني أخر الخلفاء الأمويين والذي قتل في ٢٧ ذي الحجة من عام ١٣٢هـ[٣]

مما سبق يتضح مدى الجهد الذي بذله قادة العباسيين ودعاتهم على مدى أكثر من ثلاثة عقود منذ عام (١٠٠ هـ وحتى عام ١٣٢هـ). وقد توجت هذه الجهود بتولي أحد أبناء البيت العباسي وهو أبو العباس السفاح عَبْد الله بن محمد بن علي بن عَبْد الله ابن العباس وقد كان لسياسة الدولة الأموية التي اعتمدت على العنف والظلم واستباحة الدماء دوراً كبيراً في نجاح الدعوة العباسية، إذا اعتبر الأمر ثأراً بينهم وبين بني أمية يجب عليهم القيام به [٤] . ومما لا شك فيه أن سقوط الخلافة الأموية كان نتيجة طبيعية لما آلت إليه أمور هذه الدولة خاصة في أواخر سنواتها، وذلك بسبب الآتي:

أ – الأزمة الاقتصادية الناجمة عن الحرب الاقتصادية مع بيزنطة من جهة وعن تقلص موارد الدولة عامة من جهة أخرى.

ب– الضيق العام الناتج عن كثرة الفتن والثورات وتناحر العصبيات في العهد الأموي الأخير، ونستطيع لحد ما أن نقول: أن سقوط الأمويين لم يكن نتيجة ثورة

(٤) ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي(المتوفي سنة ٥٩٧هـ) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م ،ج٧ ، صـ ٢٩٩

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٧ ، صـ ٤٢٥.

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٠ ، صـ ٥٢ .

(٣) طقوش ، تاريخ الدولة العباسية ، صـ ٣٠ .

(٤) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٦ ، صـ ٨٠ .

في خراسان بقدر ما كان نتيجة اضطراب الحكم في الإدارة وفي الاستقرار بالشام والحجاز أيضاً.

جـ- تذمر العرب في خراسان خاصة والموالي عامة من أوضاعهم الاجتماعية والسياسية.

د- النظام المالي المطبق في الدولة واضطرابه وضيق الطبقات المختلفة من العرب والموالي به.

هـ - التيارات الدينية القديمة: التي تسرب بعضها إلى الإسلام وتساهل به الدعاة: كمبدأ التناسخ والحلول، ومبادئ المشاعية المزدكية وغيرها.

مما سبق يتضح أن الصراع الذي دام بين الدولة الأموية والعباسيين والذي استمر أكثر من عقدين من الزمان قد انتهي بمقتل الخليفة مروان بن محمد والقضاء على الدولة الأموية، وقيام الدولة العباسية التي كان أول خلفائها الخليفة أبو عبد الله السفاح.

الوضع السياسي زمن العباسيين: وكان أهم أعمال الخليفة العباسي السفاح بعد توليه الخلافة أن تم تحويل منطقة الجزيرة العربية إلى ولاية كبيرة يحكمها أشخاص يثق في ولائهم خلفاء الدولة العباسية، نظراً لما تحويه المنطقة من مناطق مقدسة، بالإضافة إلى كونها المكان الأساسي لسكن آل البيت من الطالبيين والذين كان يوجد بينهم وبين العباسيين الكثير من النزاعات حول الأحقية بالخلافة الإسلامية. فظهرت العديد من الثورات بالجزيرة والتي كان من أشهرها ثورة محمد ذو النفسي الزكية، وهي الثورة التي جعلت خلفاء الدولة العباسية ينظرون إلى هذه المنطقة بعين الاهتمام والحذر ، وفي العصور المتقدمة أصبحت السيطرة على مكة والمدينة تعني السيطرة على الدولة الإسلامية عامة خاصة من الناحية الشرعية [١] .فقام الخليفة السفاح بتولية ابن عمه داود بن علي بن عبد الله بن العباس على مكة وأضاف إليه المدينة

(١) سالم، السيد عبد العزيز: البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، ص١٢-١٣.

واليمن واليمامة ، والذي عمل على تدعيم أمر العباسيين وإزالة بعض آثار بني أمية ، فأزال فسقية كانت بين زمزم والمقام وبركة التي كان يتوضأ منها الناس عند باب الصفا وصرف ماءها إلى بركة أخرى بالقرب من المسجد في جهة أخرى(٢). بعد وفاة السفاح آل أمر الخلافة العباسية سنة ١٣٧ إلى أخيه أبي جعفر المنصور (٩٥-١٥٨هـ/٧١٤-٧٧٥ م) فولى على مكة من يثق به من القادة العباسيين وفي سنة ١٤٥هـ ثار محمد ذوالنفس الزكية من أولاد الحسن بن علي بن أبي طالب ، واستطاع أبي جعفر المنصور قتله والقضاء على حركته في الحجاز وحركة أخيه ابراهيم في البصرة ، فصفا له حكم هذه المناطق ، وقام أبو جعفر المنصور بتوليه عمه عبد الصمد بن عبد الله على مكة سنة ١٤٦هـ ،وقد كثرة المعارك والثورات قد أثرت على الوضع السياسي بمنطقة مكة المكرمة كثيراً ، خاصة بعدما تم صرف الاهتمام بموانئ البحر الأحمر وأصبح الاهتمام من جهة الخلفاء العباسيين بموانئ الخليج العربي ، ومما يؤكد سوء الحالة الاقتصادية في هذه الفترة والفترات التي تلتها ، هجمات البدو على مكة والمدن من أجل النهب والسلب واشباع البطون حتى على قوافل الحجاج ، وقد ظلت هذه الهجمات لقرون طويلة حتى تم القضاء على هذه الظاهرة في العصر الحديث على يد الدولة السعودية حفظها الله . ومما سبق يتضح أن الدولة العباسية قد اتبعت سياسات متشدده تجاه منطقة الحجاز ، وتم اهمالها كثيراً باستثناء الأماكن المقدسة فيها (الحرمين الشريفين)، كما لم تنجح في توفير الأمن اللازم لمنطقة مكة المكرمة لانعاش التجارة والوضع الاقتصادي بها ، وهو ما أثر بالسلب على حال سكان منطقة مكة والمناطق القريبة منها وبخاصة عسفان وغيرها من المدن الواقعة على طرق التجارة ، خاصة بعدما عزف أكثر التجار عن استخدام هذه الطرق وتم استخدام مواني الخليج العربي .

(٢) السباعي، أحمد، تاريخ مكة، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٣هـ ، ص١٣٦-١٣٧.

الخاتمة

مما سبق يتضح أن منطقة عسان قد تأثرت كثيراً بالوضع السياسي قبل الإسلام وبعده ، وقد تطورت الأمور في فترة صدر الإسلام ، حيث شارك العديد من الشخصيات التي تنسب إلى قبائل الحجاز المختلفة ، والتي كان لها السبق في دخول الإسلام ، وشاركت في حروب الردة وحافظ الكثير من قبائل عسفان على إسلامهم وقاموا بدعم الدولة الإسلامية الناشئة ، فشاركوا في حروب الردة ضد القبائل القريبة في الحجاز والتي أظهرت الردة والتمرد ، ثم شاركوا في حروب الدولة الإسلامية ضد المرتدين في اليمن واليمامة وغيرها من المناطق التي كانت تدين بالإسلام ثم ارتدت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم . وقد تأثرت المنطقة بجميع المؤثرات السياسية التي أثرت في جسد الدولة الإسلامية بدءاً من حروب الردة ، والفتوحات الإسلامية في العراق والشام ، والعقوبات التي أقرتها الدولة على مخالفيها ومعاقبتهم بالسجن في منطقة عسفان ، ثم كان للمنطقة دوراً في فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه . لقد كان أثر الدول التي تولت الحكم منذ صدر الإسلام وحتى العصر العباسي واضحاً ومؤثراً في الوضع السياسي لمنطقة عسفان وما جاورها ، فبعد أن كانت طريقاً للتجارة بين الشمال والجنوب قبل الإسلام وفي بداية الدولة الإسلامية ، ثم تأثرت بتحول عاصمة الخلافة إلى دمشق بالشام ، ولكن الأثر الأكبر كان بتحول الطريق التجارية إلى موانئ الخليج حيث أثر ذلك كثيراً على مناطق التجارة بعسفان وأصبحت ممر لقوافل الحجاج وبعض القوافل التجارية البسيطة.

والله الموفق،



شكل رقم (١) خريطة أسواق العرب في الجاهلية

قائمة المصادر والمراجع

أولاً المصادر:

١) ابن الأثير ،علي بن محمد الجزري، اسد الغابة في معرفة الصحابة ، ط١، دار ابن حزم، بيروت (٢٠١٢).

٢) ابن الجوزي،أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي(المتوفي سنة ٥٩٧هـ) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م ،ج٧ .

٣) ابن الكردبوس، عبد الملك بن أبي القاسم، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٩م.

٤) ابن المبرد، عبد الله، محض الخلاص في مناقب سعد بن أبي وقاص، ط١، دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٦م،.

٥) ابن حجر، أحمد بن حجر العسقلاني(ت582هـ)،الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، 1415هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦) ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد(ت: ٤٥٦هـ)،جمهرة أنساب العرب، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٣.

٧) ابن سعد ، أبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد الطبقات الكبير ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٩م ، ج٧.

٨) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله القرطبي (ت463هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، 1412هـ، بيروت، دار الجيل.

٩) ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى : ٧٧٤هـ) البداية والنهاية ، ط١ ، بيروت ، دار احياء التراث العربي ، ١٤٠٨هـ –١٩٨٨م .

١٠) ابن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، (ت: ٢١٣هـ)، السيرة النبوية لابن هشام تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م ج١.

ثانياً المراجع:

١) أحمد، محمد عبد القادر، دراسات في أدب ونصوص العصر الأموي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٤٠٢هـ.

٢) الأفغاني، سعيد، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، ط٣، دار الفكر ،بيروت ١٣٩٤هـ.

٣) البدراني، فايز موسى(١٤١٧هـ): فصول من تاريخ قبيلة حرب في الحجاز ونجد، دار صادر، بيروت، ١٩٨١م.

٤) البلادي، عاتق بن غيث (١٩٣٤-٢٠١٠م): معجم المعالم الجغرافيّة في السيرة النبوية، دار مكة للنشر، ج٣، مصر ١٤٠٢هـ.

٥) الجاسر ،حمد: معجم قبائل المملكة العربية السعودية، منشورات النادي الأدبي، الرياض، ط١، ١٤٠١هـ.

٦) الزركلي، خير الدين (١٣٩٦هـ). الأعلام، دار العلم للملايين ، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.

٧) السباعي، أحمد، تاريخ مكة ، ط٤، دار المعارف ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ

٨) شاكر، محمود : التاريخ الإسلامي ، ط١، المكتب الإسلامي ، بيروت، ١٤٢١هـ ..

٩) الشجاع،عبد الرحمن عبد الواحد،اليمن في صدر الإسلام،ط٢،الإحسان، صنعاء، ١٤٤٠هـ.

١٠) عطوان،حسين:الدعوة العباسية مبادئ وأساليب، ط١،بيروت، دار الجيل، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .

١١) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، بيروت، ط٤، ٢٠٠١م.

١٢) النعيم ، نورة عبد الله العلي ، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي ، ط١، دار الشواف ، الرياض ١٤١٢هـ /١٩٩٢م.

ثالثاً الكتب المعربة:

١) بيركهارت: رحلات إلى شبه الجزيرة العربية، ط١ ،دار الكتب العلمية، بيروت ، د. ت .

٢) ستانلي،لين بول، الدول الإسلامية، ت: خليل أدهم، قطر، مكتبة قطر الوطنية، بدون: ت/ط.

رابعاً: الموسوعات العلمية:

١) الموسوعة العربية، ط١، ١٩٦٥، ط دار الشعب القاهرة، حرف (الألف).؛ كتاب الرحلات

٢) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، برقم (٢٨١٤) وتاريخ ٣/٨/١٤٢٦هـ.